أسماء

أهل التعالم وألقابهم

أبو إسحاق محمود بن أحمد الزويد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقفة

قال إبراهيم بن أدهم: «وأيُّ دينٍ لو كان له رجال! منْ طلب العلم لله، كان الخمول أحب إليه من التطاول، والله ما الحياة بثقة، فيرجى نومها، ولا المنَّيةُ بعذرٍ، فيؤمن عذرها، ففيم التفريط والتقصير والاتكال والإبطاء؟ قد رضينا من أعمالنا بالمعاني، ومِن طلب التوبة بالتواني، ومن العيش الباقي بالعيش الفاني».

سير أعلام النبلاء، (٣٩٤/٤).

وقال أبو يوسف رحمه الله: «يا قوم أريدوا بعلمكم الله تعالى؛ فإنِّي لم أجلس مجلسًا قط أنوي فيه أن أتواضع إلا لم أقم حتى أعلوهم، ولم أجلس مجلساً قط أنوي فيه أن أعلوهم إلا لم أقم حتى أفتضح».

تذكرة السامع والمتكلم، (ص٨٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المقدمة

وبعد: فهذه جزء، أفردته من كتابي "التعالم أسبابه ومظاهره" وأضفت إليه فوائد لم تكن موجودة في الكتاب، أرجو أن ينفع الله به، وأسأله أن يبصرنا العلوم بحق، وأن يعصمنا من الجهل والتعالم، وأن يرزقنا العلم النافع[1]، والعمل الصالح وأهلينا والمسلمين أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

---

[1] -والأصل في عبارة العلم النافع، قوله ﷺ، "اللهمّ أنفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وزدني علمًا" والحديث رواه الترمذي، برقم(٣٥٩٩) وقال: "حسن غريب من هذا الوجه"، والبغوي في "شرح السنَّة"، (١٥١/٣)، وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد"، (١٨٤/١٠)، "من رواية إسماعيل بن عياش عند المدنيين، وهي ضعيفة"، وصححه الشيخ من رواية أنس في "الصحيحة" برقم، (٣١٥١) ولفظه: "اللهم انفعني بما علَّمتني، وعلّمني ما ينفعُني، وارزقني علماً تنفعني به". وقد استوعب ابن رجب شيئاً من مرويات العلم النافع من نصوص الأحاديث والآثار، فليرجع لها في كتابه: "بيان فضل علم السلف على الخلف"، ومثله ابن عبد البر في "جامعه"، وكذلك الآجري سابقاً لهما في كتابه القيم "أخلاق العلماء".

قال أبو عبد الله الذهبي في "سيره" في ترجمة أبي حامد الغزالي، (٣٤٠/١٩): "نسأل الله علمًا نافعًا، تدري ما العلم النافع؟ هو ما نزل به القرآن، وفسره الرسول ﷺ قولًا وفعلًا، ولم يأتِ نهي عنه، قال عليه الصلاة والسلام: (من رغب عن سنتي، فليس مني)، فعليك يا أخي بتدبر كتاب الله، وبإدمان النظر في (الصحيحين) و (سنن النسائي)، و(رياض النواوي) وأذكاره، تفلح وتنجح، وإيَّاك وآراء عباد الفلاسفة، ووظائف أهل الرياضات، وجوع الرهبان، وخطاب طيش رؤوس أصحاب الخلوات، فكل الخير في متابعة الحنيفية السمحة، فواغوثاه بالله، اللهم اهدنا إلى صراطك المستقيم".

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

((معالم مهمة حول التعالم والتعريف به))

التعالم: «هو ادعاءُ العلم بالقولِ، أو العملِ، أو الحالِ، أو الهيئة، ونحوِ ذلك ممَّن ليس من أهلِ العلم».

قل لمن يدَّعي في العلِمِ فلَسَفةً
حفِظتَ شيئًا وغابَت عَنكَ أشياءُ.

والعلم رزق يسوقه الله لعبده كما يسوق له، طعامه وشرابه، ولا يؤتاه إلا من أراد الله به خيرًا، كما هو في الحديث الصحيح «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين»[٢].

وكتب عمر إلى أبي موسى: «إنَّ الفقه ليس عن كبر السن؛ ولكنَّه عطاء الله ورزقه، قال: وكتب إليه: إيَّاك ومراق الأخلاق ودناءتها»[٣].

وقال الإمام أحمد: «إنَّما العلم مواهب، يؤتيه الله من أحب من خلقه»[٤].

---

[٢]-رواه البخاري، (٧١) من حديث معاوية ﷺ مرفوعًا.

[٣]-الزهد لوكيع، (ص٢٢١).

[٤]-كما في "طبقات الحنابلة" لأبي يعلى (١/١٧٩).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعن مجاهد، في قوله: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتُ﴾، قال: «معلما للخير»[٥].

ولله در الإمام ابن القيم رحمه الله حينما قال: «ولولا جهل الأكثرين بحلاوة هذه اللذة، وعظم قدرها لتجالدوا عليها بالسيوف، ولكن حفت بحجاب من المكاره، وحجبوا عنها بحجاب من الجهل؛ ليختص الله بها من يشاء من عباده، والله ذو الفضل العظيم»[٦].

ويعد ابن الجوزي مَّمن عاب هذه الصنوف في غير كتاب من كتبه، وأشهرها "صيد الخاطر"، و "تلبيس إبليس"، وسبقه أبو حامد في "الإحياء"، وللحافظ الذهبي رحمه الله رسالة سمَّاها "بزغل العلم"[٧]، وهي رسالة نفيسة تكلم بها عن صنوف مختلفة من

---

٥ –العلم لزهير بن حرب، رقم (٣٠).

٦ –مفتاح دار السعادة، (١/٣٠٠).

٧ –وله تحذير من هذه النماذج في كثيرٍ من مؤلفاته، ففي ترجمة "هدبة بن خالد بن أسود بن هدبة القيسي"، كما في السير"، (١١/٩٩) يقول: "رافق أخاه في الطلب، وتشاركا في ضبط الكتب، فساغ له أن يروي من كتب أخيه، فكيف بالماضين، لو رأونا اليوم نسمع من أي صحيفة مصحفة على أجهل شيخ له إجازة، ونروي من نسخة أخرى بينهما من الاختلاف والغلط ألوان، ففاضلنا يصحح ما تيسر من حفظه، وطالبنا يتشاغل بكتابة أسماء الأطفال، وعالمنا ينسخ، وشيخنا ينام، وطائفة من الشبيبة في واد آخر من المشاكلة والمحادثة، لقد اشتفى بنا كل مبتدع، ومجنا كل مؤمن، أفهؤلاء الغثاء هم الذين يحفظون على الأمة دينها؟ كلا والله.

فرحم الله هدبة، وأين مثل هدبة؟! نعم، ما هو في الحفظ كشعبة".

شبكة الألوكة - قسم الكتب

صنوف العلماء وما يعاب من سلوكهم وتفريطهم، ومن الرسالة المعاصرة المتعلقة بهذا الباب، رسالة الشيخ بكر أبو زيد، واسمها: "التعالم وأثره على الفكر الكتاب"، ولشيخنا النبيل الحويني متع الله به كلامًا نفيسًا في هذا البابِ تراه في كتابه "تنبيه الهاجد"، وترى ذلك في كتاب "العقد الفريد" لابن عبد ربه "فصل: انتحال العلم"، وتناولهم تاج الدين السبكي في كتابه "معيد النعم ومبيد النقم"، "المثال السادس والأربعون" وفي غيره، ولم يقصر الحافظ الألمعي ابن رجب الحنبلي في دك وهدم أطام هؤلاء المتعالمين في رسالته "الرد على من اتبع غير المذاهب الأربعة"، واستقصاء ذلك وذكر مصادره يطول، ويخرج عن مقصود من تسهيل الفكرة وتقريبها، والتحذير من خطرها، فأسأل الله القبول والإخلاص، وأن يجعل عملنا لوجهه خالصًا ولا يجعل لأحدٍ من خلقهِ فيه شيئًا، إنَّه ولي ذلك ومولاه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

((التحذير من التعالم من كلام السلف))

بيَّن النبي ﷺ، خطر التعالِم في أحاديث كثيرة، ومنها: ما رواه البخاري ومسلم، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد؛ ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا»[٨].

وللحديث شواهد كثيرة.

قال الخطابي: "قد أعلم رسول الله ﷺ أنَّ آفة العلم ذهاب أهله، وانتحال الجهال وترؤسهم على الناس باسمه، وحذر النَّاس أن يقتدوا بمن كان من أهل هذه الصفة، وأخبر أنَّهم ضلال مضلون"[٩].

وكان السلف يحذرون من هذه النماذج، فهذا أمير المؤمنين، عمر رضي الله عنه يقول: «تفقهوا قبل أن تسودوا»[١٠].

---

[٨] –رواه البخاري، (١٠٠)، ومسلم(٢٦٧٣)، واللفظ للبخاري.

[٩] –العزلة، "باب في فساد الخاصة وما جاء في علماء السوء وذكر آفاتهم" (ص٢٠٨).

[١٠] –أخرجه البخاري معلقًا، (٧٤)، والدارمي موصولًا في "سننه"، (٣٤١/١)، ووكيع في "الزهد"، (٧٣)، وأبو خيثمة في "العلم"، (٩)، وابن أبي شيبة في "مصنفه"، (٢٦٥١٩)، والبيهقي في "المدخل"، (ص٢٦٥)، وفسر "تسودوا"، قوله: تسودوا معناه: قبل أن تتزوجوا فتصيروا أرباب بيوت ، قاله شمر رضي الله عنه، وانظر: غريب الحديث، (١٠٢٩/٢)، وهو في العموم يفيد التعجل بالطلب قبل أن يشتغل الإنسان.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفي "مصنف قاسم بن أصبغ" بسند صحيحٍ عنه ﷺ، قال: «فساد الدين إذا جاء العلم من قبل الصغير استعصى عليه الكبير، وصلاح الناس إذا جاء العلم من قبل الكبير تابعه عليه الصغير»[١١].

ومن ذلك وصية أمير المؤمنين علي ﷺ لكميل بن زياد النخعي، وفيها: «يا كميل، إنَّ هذه القلوب أوعية، فخيرها أوعاها للخير، والناس ثلاثة: فعالم رباني، ومتعلمٌ على سبيلِ نجاة، **وهمج رعاع، أتباع كل ناعق، يميلون مع كل صائحٍ، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق.** ثمَّ قال: آه إن ههنا علمًا -وأشار بيده إلى صدره -لو أصبت له حملة، بل قد أصبت لقنا غير مأمون، يستعمل آلة الدين للدنيا، ويستظهر بحجج الله على كتابه وبنعمه على معاصيه، أو حامل حق لا بصيرة له في إحيائه، ينقدح الشك في قلبه بأول عارض من شبهة، لا يدري أين الحق، إن قال أخطأ، وإن أخطأ لم يدر، مشغوف بما لا يدري حقيقته، فهو فتنة لمن فتن به، وإن من الخير كله من عرفه الله دينه، وكفى بالمرء جهلا ألا يعرف دينه»[١٢].

---

[١١] -انظر: فتح الباري لابن حجر، (٣٠١/١٣).

١٢-انظر: اعلام الموقعين، (١٣٥/٢) ومفتاح دار السعادة، (١٢٣/١)، قال عنه ابن القيم: "وهو حديث مشهور عند أهل العلم، يستغني عن الإسناد لشهرته عندهم".

وذكره ابن عبد البر رحمه الله في "جامع بيان العلم"، (١٤٩)، بلفظ، وروي عن علي ﷺ قال: «الناس ثلاث، فعالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة، والباقي همج رعاع أتباع كل

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وروي عنه ﷺ، أنَّه سمع رجلاً تكلم في الحلال والحرام وليس بفقيه، فخرج، فخطب، فقال: «ذمتي بما أقول رهينة، وأنا به زعيم: إنَّ امرأً صرحت له العواقب عمَّا بين يديه من المثلات، حجزه التقوى عن تقحم الشبهات، **وإنَّ شر الناس رجل قمش علماً في أوباش من النَّاس**، فهو في قطع من الشبهات كمثل نسج العنكبوت، خباط عشوات، ركَّاب جهالات، لم يعض على العلم بضرس قاطع فيغنم، ولا سكت عمَّا لم يعلم فيسلم، فويل للدماء والفروج منه»(١٣).

وعنه ﷺ، **قال**: «ألا أنبئكم بالفقيه حق الفقيه؟ من لم يقنط الناس من رحمة الله، ولم يرخص لهم في معاصي الله، ولم يؤمنهم مكر الله، ولم يترك القرآن إلى غيره، ولا خير في عبادة ليس فيها تفقه، ولا خير في فقه ليس فيه تفهم، ولا خير في قراءة ليس فيها تدبر»(١٤).

ومِمَّا يُنسب إليه ﷺ، قوله: «العلم نقطة كثرها الجاهلون». وقد اعتنى بها العلماء فأفردوا في شرحها مصنفاتٍ مستقلة، منها: "زيادة

ناعق»، ورواه بتمامه، برقم (١٨٧٨)، وانظر: "كشف الكربة" لابن رجب، (ص٤٣)، وهو في الأصل في "حلية الأولياء" لأبي نعيم، (٧٩/١).

١٣ –الواضح في أصول الفقه لابن عقيل، (٢٧٩/١)، وقال محققه: "انظر الخطبة بطولها في "الفائق" للزمخشري (٢/ ١٥ – ١٦)، و"نهج البلاغة"، (١/ ١٠٥ – ١٠٨).

١٤ –الفقيه والمتفقه، (٣٩/٢) بسندِه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

البسطة، في بيان العلم نقطة" لعبد الغني النابلسي، (ت١١٤٣هـ)، و "نثر الدر وبسطه في بيان كون العلم نقطة": لأحمد بن محيي الدين الإغريسي الجزائري، (ت١٣٢٠هـ)"[١٥].

وقال ابن بطة العكبري: "والفقيه من هو؟ فهم يعولون على الاسم دون المعنى، وعلى المنظر دون الجوهر. **ولذلك قال علي بن أبي طالب** رضي الله عنه حين وصف المتجاسر على الفتوى بغير علم: «سمَّاه النَّاس عالماً، ولم يَفْنِ في العلم يومًا سالماً»"[١٦].

ولله در القائل:

ولمَّا رأيتُ الجهلَ في النَّاسِ فاشياً
تجاهلتُ حتى قيل: إنِّي جاهلُ
فوا عجباً كم يدَّعي العلم ناقص
ووا آسفا كم يُظهر النقصَ فاضلُ
إذا وصف الطائي في البُخل مادرٌ
وعيَّر قُسًّا بالفهامة باقلُ
وقال السُّهى للشمس أنت خفِيَّةٌ
وقال الدُّجى للصبح لونُك حائلُ

---

[١٥] –ينظر كتاب الإبداع العلمي، (ص١٠٥–١٠٦).

[١٦] –كتاب إبطال الحيل، (ص٥)، وفي طبعة الرسالة، (ص٥١)، وانظر: جزء لي بعنوان "صفات الفقيه".

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وطاولت الأرضُ السماء سفاهةً
وفاخرتِ الشُّهب الحصا والجنادلُ
فيا موت زُر إنَّ الحياةَ ذميمةٌ
ويا نفسُ جُدي إنَّ دهركِ هازِلُ

يقول ابن العماد بعد هذا الشعر: «ولقد شاهدتُ في زماننا أُناساً من الجاهلين، يتصدرون في المجالس عاملين كالعالمين، مستندين غير مستدلين، معتدين غير مُعتدين..... »[١٧].

❶-وهذه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، تقول كما جاء في "موطأ مالك" بسندهِ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، أنَّه قال: سألت عائشة، زوج النبي ﷺ، ما يوجب الغسل؟ فقالت: هل تدري ما مثلك يا أبا سلمة مثل الفروج يسمع الديكة تصرخ فيصرخ معها «إذا جاوز الختان الختان فقد وجب الغسل»[١٨].

قال أبو الوليد الباجي، (ت٤٧٤هـ): "وقولها هل تدري ما مثلك يا أبا سلمة مثل الفروج يسمع الديكة تصرخ فيصرخ معها يحتمل معنيين:

أحدهما: أنَّ أبا سلمة كان في زمان الصبا وقبل أن يبلغ حد الجماع يسأل عن مسائل الجماع ويتكلم فيها وهو لا يعرفها إلا بالسماع

١٧-صلاح العالم بإفتاء العالِم، (ص٣٦)، ط: مكتبة عمار.

١٨-الموطأ، رقم (٧٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من غيره؛ كالفروج الذي يسمع الديكة التي بلغت حد الصراخ تصرخ فيصرخ معها، وإن لم يبلغ ذلك الحد.

والثاني: أنَّ أبا سلمة كان صبيًا لم يبلغ مبلغ الكلام في العلم إلا أنَّه كان يسمع الرجال والكهول يتكلمون في العلم فيتكلم معهم"[١٩].

❶ -وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: «ما لي أرى علماءكم يذهبون، وجهالكم لا يتعلمون، تعلموا، فإنَّ العالم والمتعلم شريكان في الأجر»[٢٠]، وأقواله كثيرة رضي الله عنه في هذا الخصوص.

❷ -وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «كيف بكم إذ ألبستكم فتنة يربو فيها الصغير، ويهرم فيها الكبير، وتتخذ سنة؛ فإن غيرت يومًا قلت: هذا المنكر.

قالوا: ومتى ذلك يا أبا عبد الرحمن؟

قال: ذاك إذا قلت أمناؤكم، وكثر أمراؤكم، وقلت فقهاؤكم، وكثر قراؤكم، وتفقه لغير الدين، والتمست الدنيا بعمل الآخرة»[٢١].

---

[١٩] -المنتقى شرح الموطأ، (٩٦/١).

[٢٠] -سير أعلام النبلاء، (٣٤٧/٢).

[٢١] -انظر: العزلة للخطابي، (ص٢١١)، ورواه البخاري في "الأدب المفرد"، (٧٨٨)، والحاكم في المستدرك"، (٨٤٨٧)، والطبراني في "الكبير"، (٨٥٦٦)، موقوفاً على ابن مسعودٍ رضي الله عنه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

❸-وقال ابن عباس رضي الله عنهما- «والله ما أظنُّ على ظهر الأرض اليوم أحداً أحب إلى الشيطان هلاكاً مني؛ فقيل وكيف؟

فقال: والله! إنَّه ليحدث البدعة في مشرق أو مغرب فيحملها الرجل إلي فإذا انتهت إلي قمعتها بالسنَّة فترد عليه»[٢٢]. إن موت العلماء يفرح به أهل التعالم من أهل الشبه والأهواء، ولكن بحمد الله لا تخلو الأرض من قائم لله بحق.

❹-وعن التابعي الجليل مجاهد رحمه الله، قال: «ذهبت العلماء فما بقي إلا المتعلمون، وما المجتهد فيكم إلا كاللاعب فيمن كان قبلكم»[٢٣].

❺-وقال بلال بن سعد: «زاهدكم راغب، ومجتهدكم مقصر، وعالمكم جاهل، وجاهلكم مغتر»[٢٤].

❻-وعن مكحول قال: «تفقه الرعاع فساد الدين، وتفقه السفلة فساد الدنيا»[٢٥].

---

[٢٢] -رواه اللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة"، (٥٥/١)، وابن الجوزي في "تلبيس إبليس"، (ص١٠)، والسيوطي في "مفتاح الجنة"، (ص٤٤- ٤٥).

[٢٣] -السير، (٢٨٠/٣).

[٢٤] -رواه ابن المبارك في "الزهد" (٧٨/٢)، وأبو نعيم في "الحلية"، (٢٥٥/٥)، وابن عساكر في "تاريخ دمشق"، (٤٨٦/١٠).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

❼ -وعن ابن عيينة، قال: «بكى ربيعة يومًا.

فقيل: ما يبكيك؟

قال: رياء حاضر، وشهوة خفية، والنَّاسُ عند علمائهم كصبيانٍ في حجور أمهاتهم، إنْ أمروهم ائتمروا، وإن نهوهم انتهوا؟!»[٢٦].

❽ -وقال أمير المؤمنين في الحديثِ سفيان الثوري رحمه الله: «تعوذوا بالله من فتنة العابد الجاهل، وفتنة العالم الفاجر، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون»[٢٧]. وفتنة هذا العالم هي صفة المتعالم، **أمَّا العالم الحق؛ فهو الذي يتقي الله، فيقف عند أوامره ونواهيه، ويكون صداعًا بالحق، ناشرًا للعلم، صابرًا على الأذى فيه**، قال أبو إسحاق الشاطبي في كتابه الفريد، وتأليفه العجيب، "الموافقات": «فإنَّ المفتي إذا أمر مثلًا بالصمت عمَّا لا يعني؛ فإنْ كان صامتًا عمَّا لا يعني ففتواه صادقة، وإنْ كان من الخائضين فيما لا يعني فهي غير صادقة، وإذا دلك على الزهد في الدنيا وهو زاهد فيها صدقت فتياه، وإن

---

[٢٥] -جامع بيان العلم، (١٠٧١)، والفقيه والمتفقه، (٦٢٠/١).

[٢٦] -ينظر: سير أعلام النبلاء، (٩٠/٦)، ورواه: ابن عبد البر في "الجامع" (١٨٨٥) بإسناد صحيح، وذكره ابن القيم في "إعلام الموقعين"، (٤٦١/٣)، وكان ربيعة الرأي يقول: "العلم وسيلة إلى كل فضيلة" تاريخ الإسلام، (٤٢٢/٨).

[٢٧] -أخلاق العلماء للآجري، (ص٨٧)، وذكره ابن القيم في "إعلام الموقعين" في ذكر أنَّ "البدع واتباع الهوى جالبة لكل شرّ" (١٣٧/١)، والبغوي في "شرح السنَّة"، (٣١٨/١) في ذكر قبض العلم. وابن قتيبة في "عيون الأخبار"، (١٤٠/٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كان راغبًا في الدنيا فهي كاذبة، وإن دلَّك على المحافظة على الصلاة وكان محافظًا عليها صدقت فتياه، وإلا فلا.

وعلى هذا الترتيب سائر أحكام الشريعة في الأوامر، ومثلها النواهي؛ فإذا نهى عن النَّظر إلى الأجنبيات من النِّساء، وكان في نفسه منتهيًا عنها صدقت فتياه، أو نهى عن الكذب وهو صادق اللسان، أو عن الزنى وهو لا يزني، أو عن التفحش وهو لا يتفحش، أو عن مخالطة الأشرار وهو لا يخالطهم، وما أشبه ذلك؛ فهو الصادق الفتيا والذي يقتدى بقوله ويقتدى بفعله؛ وإلا فلا؛ لأنَّ علامة صدق القول مطابقة الفعل، بل هو الصدق في الحقيقة عند العلماء، ولذلك قال تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣]»[٢٨].

والعالم بحق هو صاحبُ الخشية، كما قال الحافظ ابن رجب: «وقد كان السلف لا يطلقون اسم العالم إلا على من عنده علم يوجب له الخشية، كما قال بعضهم: إنَّما العالم من يخشى الله، ولقي بخشية الله علمًا، وهذا مطابق لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾، والله تعالى أعلم»[٢٩].

---

[٢٨] –الموافقات، (٥/٢٦٨)، ط: وزارة الشؤون الإسلامية.

[٢٩] – انظر: رسالة "مقدمة تشتمل على أنَّ جميع الرسل كان دينهم الإسلام"، من مجموع رسائل ابن رجب، (٤/٣٦٥)، ت: النجار.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(۞)-وسُئِل مالك متى سمعت من أيوب السختياني؟

قال: «حج حجتين فكنت أرمقه ولا أسمع منه، غير أنَّه إذا جاء ذكر النبي ﷺ بكى حتى أرحمه، فلمَّا رأيت منه ما رأيت وإجلاله النبي ﷺ كتبت عنه»[٣٠].

(۞)-وسئل عبد الله بن المبارك: «هل للعلماء علامة يعرفون بها؟

قال: علامة العالم من عمل بعلمه.

واستقل كثير العلم والعمل من نفسه.

ورغب في علم غيره.

وقبل الحق من كل من أتاه به.

وأخذ العلم حيث وجده، فهذه علامة العالم وصفته»[٣١].

(۞)-وعن مِسعر، قال: سمعت عبد الأعلى التيمي يقول: «من أوتي من العلم ما لا يبكيه، لخليق أن لا يكون أوتي علمًا ينفعه؛ لأنَّ الله تعالى نعت العلماء ثمَّ قرأ: [ص:٣٣٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [الإسراء: ١٠٧] إلى قوله ﴿يَبْكُونَ﴾ [الإسراء: ١٠٩]»[٣٢].

---

[٣٠] -التعديل والتجريح لأبي الوليد الباجي، (ت ٤٧٤هـ)، (١/٣٤٧).

[٣١] -انظر: إبطال الحيل، (ص٣٤).

[٣٢] -رواه الدارمي في "سننه"، (١/٣٣٥)، وابن أبي شيبة في "مصنفه"، (٣٦٣٦٩)، وأحمد في "الزهد"، (١٢٥).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولله در العلامة ابن القيم حينما اشتكى منهم، فقال:

هَذَا وَإِنِّي بعد ممتحن بأر

بعة وَكلهمْ ذَوُو أضغان

فظ غليظ جَاهِل متمعلم

ضخم الْعِمَامَة وَاسع الأردان

متفيهق متضلع بِالْجَهْلِ ذُو

ضلع وَذُو جلح من الْعرْفَان

مزجي البضاعة فِي الْعُلُوم وَإِنَّهُ

زاج من الايهام والهذيان

يشكو إِلَى الله الْحُقُوق تظلما

من جَهله كشكاية الْأَبدَان

من جَاهِل متطبب يفني الورى

ويحيل ذَاك على قضا الرَّحْمَن"[٣٣].

وليس كل من قرء أو طالع العلم، صار بإمكانه أن يفتي أو أن يتصدر للتدريس والتعليم، فبين المنزلتين فرق كبير، ومفاوز تنقطع بها أعناق الإبل، وكم هي ذائعة اليوم في زماننا، وأخصُّ بذلك بعض أصحاب الألقاب العلميَّة، وقد تناولتهم في كتابي "إبهاج الطالبين بقطوف من ألقاب المحدثين"، بعنوان "الألقاب في زماننا"، ولله درُّ

---

[٣٣]-انظر: توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، (٦١١/٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الخطيب البغدادي حينما قال في كتابه النفيس "الفقيه والمتفقه": «ليس كل من ادع العلم أحرزه، ولا كل من انتسب إليه كان من أهله»[٣٤].

(۞)-وعن زكريا الساجي، قال: حدثت عن يحيى بن معين، قال: «كان مُحَمَّد بن عبد الله الأنصاري يليق به القضاء، فقيل له: يا أبا زكريا فالحديث؟ فقال:

"للحرب أقوام لها خلقوا
وللدواوين كتاب وحساب»[٣٥].

وقال شيخ الإسلام وشامة أهل الشام: «وليس كل من وجد العلم قدرَ على التعبير عنه والاحتجاج له، فالعلم شيء، وبيانه شيءٌ آخر، والمناظر عنه وإقامة دليله شيء ثالث، والجواب عن حجة مخالفهِ شيء رابع»[٣٦].

وقال السيوطي في "تدريب الراوي": "ولم أكنْ كغيري ممَّن يدَّعي الحديثَ بغير علمٍ، وقُصارى أمرِه كثرةُ السَّماع على كل شيخٍ وعجوزٍ، غيرَ مُلتفتٍ إلى معرفةِ ما يحتاجُ المحدث إليه أنْ يحوزَ، ولا

---

[٣٤] -انظر: الفقيه والمتفقه، (٢/٣٧٦).

[٣٥] -الكفاية في علم الرواية، (ص١٠٨)، وفتح المغيث، (١/٨١).

[٣٦] -جواب الاعتراضات المصرية، (ص٤٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مكترثٍ بالبحثٍ عمَّا يُمْنَعَ أو يجوز، **ثمَّ ظن الانفراد بجمع الكتب والضن بها على طلابها**، فهو كَمثلِ الحمارِ يحملُ أسفارًا عاريًا عن الانتفاعِ بخطابها.

إنْ سُئِل عنْ مسألةٍ في المصطلحِ لم يهتدِ إلى جوابها، أو عرضتْ له مسألةٌ في دينهِ لم يعرفْ خطأها من صوابها، أو لو تلفَّظ بكلمةٍ منْ الحديثِ لم يأمن أنْ يزلَ في إعرابِها، فصار بذلك ضُحكةً للنَّاظرين، وهُزأةً للساخرين، والله تعالى حسبي وهو خير الناصرين."[٣٧]

وسمَّة الشيخ العالم، والطالب الغيور في نشر العلم وتلقيه؛ الفهم قبل الحكم، والاستدلال بالكلام دون الشجب والطعن بأهل المزية ورجالات الإسلام.

أمَّا سمة المذبب الذي يحب أن يعرف، فمن شأنَّه النعق بدون دراية ومعرفة، والكلام بدون إيضاح وبيان، كما قال الإمام ابن قيم الجوزية، في "إغاثة اللهفان"، «ثمَّ أنَّ أبا جعفر الطحاوي حكى القولين في كتابه "تهذيب الآثار" فقال: باب الرجل يطلق امرأته ثلاثاً معاً، ثمَّ ذكر حديث أبي الصهباء، ثمَّ قال: فذهب قوم إلى أن الرجل إذا طلق امرأته ثلاثاً معاً فقد وقعت عليها واحدة إذا كانت في وقت سنة، وذلك أن تكون طاهراً في غير جماع.

---

[٣٧] –تدريب الراوي، (١/٣٤–٣٥)، ط: العاصمة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

واحتجوا في ذلك بهذا الحديث، وقالوا: لما كان الله عز وجل إنَّما أمر عباده أن يطلقوا لوقت على صفة فطلقوا على غير ما أمرهم به لم يقع طلاقهم، ألا ترى لو أن رجلاً أمر رجلاً أن يطلق امرأته في وقت فطلقها في غيره، أو أمره أن يطلقها على شريطة فطلقها على غير تلك الشريطة أن طلاقه لا يقع؟ إذ كان قد خالف ما أمر به.

ثمَّ ذكر حجج الآخرين، والجواب عن حجج هؤلاء على عادة أهل العلم والدين في إنصاف مخالفيهم والبحث معهم، ولم يسلك طريق جاهل ظالم متعد يبرك على ركبتيه، ويفجر عينيه ويصول بمنصبه لا بعلمه، وبسوء قصده لا بحسن فهمه، ويقول: القول بهذه المسألة كفر يوجب ضرب العنق، ليبهت خصمه ويمنعه عن بسط لسانه والجري معه في ميدانه، والله سبحانه عند لسان كل قائل، وهو له يوم الوقوف بين يديه عمَّا قاله سائل» [٣٨].

ومن هنا تجد أنَّ السلف حذروا من خطر التصدر لمن لم يتأهل، ففي "الرسالة القشيرية"، في ذكر "آدب المريد" ألا يتصدر قبل أونه، ونصُّه: «ومن آداب المريدين أَن لا يتعرضوا للتصدر، وأن يَكُون لَهُمْ تلميذا ومريدا فَإِن المريد إِذَا صار مرادا قبل خمود بشريته

[٣٨] -إغاثة اللهفان، "(١/٢٢٠)"، ط: المكتبة التوفيقية.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وسقوط آفته فَهُوَ محجوب عَنِ الحقيقة لا تنفع أحدا إشارته وتعليمه» [٣٩].

① -وقيل لأبي حنيفة -رحمه الله-: في المسجد حلقة ينظرون في الفقه، فقال: «ألهم رأس؟

قالوا: لا.

قال: لا يفقه هؤلاء أبدًا».

② -وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى رحمه الله: «أدركت في هذا المسجد مائة وعشرين من أصحاب رسول الله ﷺ، ما أحد يسأل عن حديث أو فتوى إلا وَدَّ أن أخاه كفاه ذلك.

ثمَّ قال: آل الأمر إلى إقدام أقوام يدعون العلم اليوم، يقدمون على الجواب في مسائل لو عرضت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه لجمع أهل بدر واستشارهم» [٤٠].

③ -ولبعضهم في تدريس من لا يصلح:

تصدر للتدريس كل مهوسِ
جهول تسمَّى بالفقيه المدرسِ
فحق لأهل العلم أن يتمثلوا

---

[٣٩] -انظر الرسالة القشيرية، "(ص٢٢١)"، ط: دار السلام

[٤٠] -مختصر منهاج القاصدين، (ص٢٥)، وهو في الأصل في "سنن الدارمي"، (٢٤٨/١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ببيت قديمٍ شاع في كل مجلسِ
لقد هزلت حتى بدا من هُزالها
كُلاها وحتى سامها كلُّ مفلس[٤١].

④-وقد قيل: «من تصدر قبل أوانه، فقد تصدى لهوانه»[٤٢].

⑤-وقال مخلد بن الحسين يقول: «إنْ كان الرجل ليسمع العلم اليسير فيسود به أهل زمانه، يعرف ذلك في صدقه وفي ورعه، وإنَّه ليروي اليوم خمسين ألف حديث لا تجوز شهادته على قلنسوته»[٤٣].

⑥-وقال الشيخ عثمان بن المكي التوزري الزبيدي، "(ت١٣٥٠هـ)" في كتابه: "المرآة لإظهار الضلالات"، "وتقديم الجهال على العلماء، وتولية المناصب الشرعيَّة بالتوارث والجاه لمن لا يصلح لها[٤٤].

⑦-وفي مثلهم أنشد أبو حيان رحمه الله:

---

[٤١] -تذكرة السامع والمتكلم، (ص٧١).

[٤٢]-المصدر نفسه عن الشبلي، (ص٧٠).

[٤٣] -الكفاية، (ص١٤).

[٤٤] -ولا ريب هذا من الخيانة، لله ولرسوله ﷺ، وللدين، والمسلمين، وانظر السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، (ص٧)، وما بعد.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بُلينا بقومٍ صُدروا في المجالسِ
لإقراءِ عِلمٍ ضلَّ عنهم مراشدُه
لقد أُخِّر التَّدريس عن مستحقَّهِ
وقدم غمرٌ جامد العقلِ خامِدُه
وسوف يلاقي من سعى في جلوسهم
مِنْ الله عُقبى ما أكنَّت عقائِدُه
علا عقله فيهم هواهُ وما درى
بأنَّ هوى الإنسان للنَّارِ قائدُه"[٤٥].

ومن عواقب حب التصدر أن يرمي بنفسه في مواطن الشبه، وموارد التهلكة. ومن أمثلة حب الظهور:

- «أنَّ رجلًا قال لصاحبه، هل ذكرني الخطيب في (تاريخ بغداد) في الثقات أو مع الكذابين؟ قيل: ما ذكرك أصلًا.
فقال: ليته ذكرني ولو مع الكذابين»[٤٦].

- وعن مُحَمَّد بن سهل بن عسكر، قال: حضرت المأمون بالمصِّيصة، فقام إليه رجل بيده محبرة، فقال: يا أمير المؤمنين، صاحبُ حديث منقطع به.
قال: فوقف له المأمون، وقال: أيْشٍ تحفظُ في باب كذا؟

---

[٤٥] -المرآة لإظهار الضلالات، (ص٦٩-٧٠)، ط: دار ابن حزم.

[٤٦] -ذكره الذهبي في "سير أعلام النبلاء" (٣٨١/١٨) بتصرف يسير.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال: فسكت، فقال المأمون: حدثنا ابنُ عُلَيَّة بكذا، وحدثنا حجاجٌ الأعور بكذا، وسرد عدَّة أحاديث، ثم قال: وأيْشٍ تحفظ في باب كذا؟

قال: فسكت، فسرد له المأمون أيضًا عدة أحاديث.

ثم قال: أحدُهم يطلبُ الحديث ثلاثة أيام، ثم يقول: أنا صاحب حديث، أعطوه ثلاثة دراهم"[٤٧].

➢ -وعن تميم الداري رضي الله عنه، قال: تطاول النَّاسُ في البناءِ في زمن عمر رضي الله عنه فقال عمر: «يا معشر العرب، الأرض الأرض، إنَّه لا إسلام إلا بجماعةٍ، ولا جماعةَ إلا بإمارةٍ، ولا إمارةَ إلا بطاعةٍ، فمن سوَّده قومُه على الفقهِ، كان حياة له ولهم، ومن سوَّده قومه على غيرِ فقهٍ، كان هلاكًا له ولهم»[٤٨].

➢ -وأنشد أبو عمرو بن العلاء في هذا المعنى:

من تحلّى بغير ما هو فيه ... فضحته شواهد الامتحان.

وفي هذا المعنى:

من تحلّى بغير ما هو فيه ... شان ما في يديه ما يدّعيه

وإذا قلّل الدعاوى لما في ... ه أضافوا إليه ما ليس فيه

---

[٤٧] -الجامع لأخلاق الراوي، (١/٧٦)، والجواهر والدرر للسخاوي، "من يطلق عليه لفظ المحدث"، (١/٧٩).

[٤٨] -رواه الدارمي في "سننه"، (١/٣١٥)، وابن عبد البر في "جامعه"، (٢٧٤)، وسنده ضعيف.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومحلّ الفتى سيظهر للنَّا ... س وإن كان دائبًا يخفيه

وبحسب الذي ادّعى ما عداه ... أنّه عالم بما يفتريه[٤٩].

وقد ذكر العارفون بهذا الفن أنَّ من أكبر موجبات التكميل للطالب في هذا الفن ترك الغرور في نفسه، وترك الترفع على أبناء جنسه، فإنَّه ربما اجتهد في الكتابة كثيرًا فيأتيه الشيطان فيوسوس له بالغرور، ويوقعه بالشرور، ومتى سلِم من هذا يرجى له القبول، والرقي لمراتب الوصول، ومتى تساهل في أمر نفسه، وتكبر على أبناء جنسه، عوقب بالحرمان والوسواس، وسقط عن مرتبته التي كان فيها عند الله وعند الناس"[٥٠].

يَظُنُّ الْغَمْرُ أَنَّ الْكُتْبَ تَهْدِي

أَخَا فَهْمٍ لِإِدْرَاكِ الْعُلُومِ

وَمَا يَدْرِي الْجَهُولُ بِأَنَّ فِيهَا

غَوَامِضَ حَيَّرَتْ عَقْلَ الْفَهِيمِ

إِذَا رُمْت الْعُلُومَ بِغَيْرِ شَيْخٍ

ضَلَلْت عَنْ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ

وَتَلْتَبِسُ الْعُلُومُ عَلَيْك حَتَّى

---

[٤٩] –العقد الفريد، (٢/٨٦).

[٥٠] –انظر: نوادر المخطوطات، لعبد السلام هارون، تفسير قوله: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تَصِيرَ أَضَلَّ مِنْ تُوِّمَا الْحَكِيمِ[٥١].

ومن هنا تعلم، ما قاله سفيان: «من ترأس سريعاً أضر بكثير من العلم، ومن لم يترأس طلب وطلب حتى بلغ»[٥٢].

وعن الأصمعي، قال: سمعت الشافعي يقول: «العالم يسأل عمَّا يعلم وعمَّا لا يعلم، فيثبت ما يعلم، ويتعلم ما لا يعلم، والجاهل يغضب من التعلم، ويأنف من التعليم»[٥٣].

وكانوا يهضمون أنفُسَهم، ويميلونَ إلى الخمولِ والتواضع، فكَتَبَ الله ذِكْرَهُم وإنْ أبت نُفوس حاقديهم.

(✍)-عن الحسن، قال: «من طلب شيئًا من هذا العلمِ فأراد به ما عند الله، يدرك إن شاء الله، ومن أراد به الدنيا، فذاك والله حظه منه»[٥٤].

(✍)-وقال علي بن حرب حدثني أبي، قال: «كُنَّا في مجلس سفيان بن عيينة فضجر فقام من مجلسه، فقام إليه رجل من أقصى

---

[٥١]-الآداب الشرعية والمنح المرعية، (٢/١٢٥-١٢٦).

[٥٢]-الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه، "(ص٣٣)"، ط: مكتبة ابن تيمية.

[٥٣]-سير أعلام النبلاء، "(١٠/٤١)" ترجمة "الشافعي".

[٥٤]-رواه الدارمي في "سننه"، (١/٣١٧)، والخطيب في "اقتضاء العلم"، (١٠٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المجلس، فقال: يا أبا مُحَمَّد أنت غاية الناس وطلبتهم، وإنَّ الرجل ليريد الحج وما ينشط إلا إلى لقائك!، فجلس وأنشا يقول: «

خلت الديار فسدت غير مسود

ومن للشقاء تفردي بالسؤدد»[٥٥].

وذكر ابن سعدون: أنَّ أبا الحسن لما جلس للنَّاس وعُزِم عليه في الفتوى تأبّى، وسدّ بابه دون النَّاس، فقال لهم أَبُو القاسم ابن شبلون: اكسروا عليه بابه؛ لأنَّه قد وجب عليه فرض الفتيا، وهو أعلم منْ بقي بالقيروان، فلمَّا رأى ذلك خرج إليهم ينشد:

لعمر أبيك ما نُسب المعلى

إلى كرمٍ وفي الدنيا كريم

ولكن البلاد إذا اقشعرّت

وصوّح نبتُها رُعِي الهشيم[٥٦].

ولله در أبي الفرج إذ قال: «والصدق في الطلب منار، أين وجد يدل على الجادة؛ وإنَّما يتعثر من لم يخلص»[٥٧].

---

٥٥ –الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، (١/٢١٠).

٥٦ –المختصر النصيح للمهلب الأندلسي، (١/٢٨).

٥٧ –صيد الخاطر، (ص٣٦٧).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(✍)-وكان الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله -يسأل عن أخلاق الورعين، فيقول: «أسأل الله ألا يمقتنا»[٥٨].

(✍)-وكان يقول: «من أنا حتى تجيئون إليَّ؟ اذهبوا اكتبوا الحديث، وكان إذا سُئِل عن شيءٍ، يقول: سلوا العلماء.

وإذا سُئِل عن شيءٍ من الورعِ يقول: أنا لا يحل لي أن أتكلم في الورع، لو كان بشرٌ حياً تكلم في هذا" [٥٩].

(✍)-وقال الحافظ ابن رجب: "اجتهد الإمام أحمد على أن لا يذكر، وأبى الله إلا أن يشهره ويقرن الإمامة باسمه على ألسنة الخلق شاءوا أو أبوا، وكان في زمانه من يعطي الأموال لمن ينادي باسمه في الأسواق ليشتهر، فما ذكر بعد ذلك ولا عرف"[٦٠].

(✍)-وقال الذهبي: "ترك الإمام أحمد التحديث لله؛ لما للنفس فيه من الحظ، فملأ الله البلاد بحديثه، وعاش ولده، وروى عنه شيئًا كثيرًا

---

٥٨ -سير أعلام النبلاء، (١١/ ٢٢٦).

٥٩ -الحكم الجديرة بالإذاعة، (ص٤٦).

٦٠-شرح حديث إن أغبط أوليائي "من مجموع رسائله (٢/٧٥٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إلى الغاية، ونفع الله به العلماء والفقهاء والمحدثين فلا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع"[٦١].

(✍)-وقال المروذي: قلت لأبي عبد الله: "ما أكثر الداعي لك!

قال: أخاف أنْ يكون هذا استدراجًا بأي شيء هذا؟

وقلت له: قدم رجل من طرسوس، فقال: كنَّا في بلاد الروم في الغزو إذا هدأ الليل، رفعوا أصواتهم بالدعاء، ادعوا لأبي عبد الله، وكنَّا نمد المنجنيق، ونرمي عن أبي عبد الله.

ولقد رمي عنه بحجر، والعلج على الحصن متترس بدرقة، فذهب برأسه وبالدرقة.

قال: فتغير وجه أبي عبد الله، وقال: ليته لا يكون استدراجًا.

قلت: كلا"[٦٢].

(✍)-**وقال**: «أريد أن أكون في شعب بمكة حتى لا أعرف، قد بليت بالشهرة، إنِّي أتمنى الموت صباحًا ومساءً»[٦٣].

---

[٦١] -تاريخ الإسلام، (٩٠٩/٦).

[٦٢] -ينظر: الزبرجد في سيرة الإمام أحمد، (ص٥٥-٥٦).

[٦٣] -المصدر السابق، فقد روى الامام أحمد، (٢/ ٤٣) وابن ماجه (٤٠٣٢) ، والترمذي (٢٥٠٧) بسند قوي من حديث ابن عمر مرفوعا: "المؤمن الذي يخالط الناس، ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس، ولا يصبر على أذاهم".

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفي "طريق الهجرتين" كان الإمام ابن القيم يقول: «نستغفر الله من الكلام فيما لسنا بأهل له»[٦٤].

(۞)-وقال ابن الأنماطي: "سمعت المسند من حنبل بن عبد الله بن الفرج الواسطي ببغداد، ثمَّ أخذت أرغبه في السفر إلى الشام، وقلت له: يحصل لك من الدنيا شيء ويقبل عليك وجوه الناس، فقال: دعني، فو الله ما أسافر من أجلهم، ولا لما يحصل منهم، وإنما أسافر خدمَة لرسول الله ﷺ، أروي أحاديثه في بلدٍ لا تروى"[٦٥].

(۞)-ورحل جماعة من بلادهم إلى بلاد أخرى لذلك، منهم أبو علي حنبل الرصافي، فإنَّه سافر من بغداد إلى الشام بقصد خدمة رسول الله ﷺ ورواية أحاديثه في بلد لا تروى فيه، وحدث بـ (مسند أحمد)، فاجتمع بمجلسه لهذه النية الصالحة من الخلائق ما لم يجتمع في مجلس قبله بدمشق[٦٦].

(۞)-وذُكِر في سيرة الإمام الماوردي الشافعي رحمه الله تعالى، "إنَّه لم يظهر شيئًا من تصانيفه في حياته، وجمعها في موضع، فلمَّا دنت وفاته، قال لمن يثق به: الكتب التي في المكان الفلاني كلها تصنيفي،

---

[٦٤] -طريق الهجرتين، (ص٤٩١).

[٦٥] -ينظر: "المصعد الأحمد في ختم المسند"، (ص٢٩-٣٠) بتصرف.

[٦٦] -فتح المغيث، (٢١٨/٣)، وعزاه للذهبي، وهو في "السير" (٤٣٣/٢١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وإنَّما لم أظهرها لأنِّي لم أجد نية خالصة، فإذا عاينت الموت، ووقعت في النزع، فاجعل يدك في يدي، فإنْ قبضت عليها وعصرتها، فاعلم أنَّه لم يقبل منِّي شيء منها، فاعمد إلى الكتب، وألقها في دجلة، وإن بسطت يدي، فاعلم أنَّها قبلت.

قال الرجل: فلمَّا احتضر، وضعت يدي في يده، فبسطها، فأظهرت كتبه"[٦٧].

(۞)-وقال ابن حزم في رسالة "فضل الأندلس": "وهاهنا قصة لا ينبغي أن تخلو رسالتنا منها، وهي: أنَّ أبا الوليد عبد الله بن مُحَمَّد بن عبد الله المعروف بابن الفرضي، حدثني أنَّ أبا الجيش مجاهداً صاحب الجزائر ودانية وجَّه إلى أبي غالب-تمام بن غالب- أيام غلبته على مرسية، وأبو غالب ساكن بها، ألف دينار أندلسية، على أن يزيد في ترجمة الكتاب المذكور-وهو في اللغة- "ممَّا ألفه تمام بن غالب لأبي الجيش مجاهد" فرد الدنانير وأبى من ذلك ولم يفتح في هذا باباً البتة وقال: والله لو بذل لي الدنيا على ذلك ما فعلت، ولا استجزت الكذب، لأني لم أجمعه له خاصة، بل لكل طالب [عامة] فاعجب لهمة هذا الرئيس وعلوها، واعجب لنفس هذا العالم ونزاهتها"[٦٨].

---

[٦٧] -السير، (١٨/٦٦-٦٧)، و "وفيات الأعيان"، (٣/٢٨٢- ٢٨٣)، و "طبقات السبكي" "(٥/ ٢٦٨)، وفيه عقب هذه القصة: لعل هذا بالنسبة إلى "الحاوي"، وإلا فقد رأيت من مصنفاته غيره كثيرا وعليه خطه، ومنه ما أكملت قراءته عليه في حياته.

[٦٨] -من مجموع رسائله، (٢/١٨٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(۞)-قال ابن رجب: «وما زال الصادقون من العُلَمَاء والصالحين يكرهون الشهرة، ويتباعدون عن أسبابها، ويحبون الخمول، ويجتهدون عَلَى حصولها.

وقال بعضهم: ما اتَّقى الله من أَحَبّ الشهرة[٦٩].

- وكان أيوب السختياني يقول: ما صدق عبدٌ إلا أَحَبّ أن لا يشعر بمكانه.
- ولما اشتهر بالبصرة كان إذا خرج إِلَى موضع يتحرى المشي في الطرقان الخالية، ويجتنب سلوك الأسواق والمواضع التي يعرف فيها.
- وكان سفيان الثوري لما اشتهر يقول: وددت أن يدي قُطعت من إبطي، وأنِّي لم أشتهر ولم أُعرف.
- ولما اشتهر ذكر الإمام أحمد، اشتد غمه وحزنه، وكثر لزومه لمنزله، وقل خروجه في الجنائز وغيرها، خشية اجتماع الناس عليه

وكان يقول: طوبى لمن أخمل الله ذكره.

وكان يقول: لو قدرت عَلَى الخروج من هذه المدينة -يعني بغداد- لفعلت حتي لا أذكر عند هؤلاء -يعني الملوك. فكان إذا مشي معه أحد من أقاربه يعرفه الناس، أبعده عنه لئلا يعرف به، وكان لا يدع

---

[٦٩] -روي نحوه من كلام إبراهيم بن الأدهم، كما في "السير"، (٣٩٣/٧).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أحدًا يمشي معه في الطريق ولا يتبعه، فإن تبعه أحد وقف حتى ينصرف الَّذِي معه[٧٠].

وهذا ابن قيم الجوزية يحذر من خطر بعض الألفاظ المتداولة وهي من المناهي اللفظية التي يقع بها البعض، فقال: "وليحذر كل الحذر من طغيان "أنا"، "ولي"، "وعندي"، فإنَّ هذه الألفاظ الثلاثة ابتلي بها إبليس وفرعون، وقارون، ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ لإبليس، ﴿وَلِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ [الزخرف: ٥١] لفرعون، وَ ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٨] لقارون. وأحسن ما وضعت "أنا" في قول العبد: أنا العبد المذنب، المخطئ، المستغفر، المعترف ونحوه. "ولي"، في قوله: لي الذنب، ولي الجرم، ولي المسكنة، ولي الفقر"[٧١].

(۞)-ولله در أبي حامد الغزالي حينما قال: "أيها الولد: ولو قرأت العلم مائة سنة، وجمعت ألف كتاب، لا تكون مستعدا لرحمة الله تعالى إلا بالعمل لقوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ [النجم:٣٩]، وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو

---

[٧٠] -رسالة "إن أغبط أوليائي"، "(٢/٧٥٥-٧٥٦)" ط: الفاروق،"(٤/٤٣٠-٤٣١)"، ط: أولاد الشيخ.

[٧١] -زاد المعاد، (٢/٤٣٤)، وانظر: بحر الدموع لابن الجوزي، (ص١٤١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أسماء أهل التعالم وألقابهم.

لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ﴾ [الكهف: ١١٠]، وقوله تعالى: ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [التوبة: ٨٢]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾ [الكهف: ١٠٧ ١٠٨]"[(٧٢)].

إنَّ من الظواهر الخطيرة أن يلجأ بعض طلاب العلم إلى تقييم العلماء-وليته كان على الإنصاف-، وهذا خطير يؤدي إلى العصبية، ويولد الشحناء، ويزرع العداوة والبغضاء.

قال أبو العباس الأبياني: «وسئل يوماً عن فقيهين من أصحابه، وتلاميذه، وهما أبو القاسم بن زيد، وسعيد بن ميمون. فقيل له: أيهما أفقه فقال: إنما يفصل بين عالمين من هو أعلم منهما»[(٧٣)].

وإذا طلبت العلم فاعلم أنَّه
عبء لتنظر أيّ عبء تحمل

---

[٧٢]-أيها الولد، (ص٩٩-١٠٠).

[٧٣] -ترتيب المدارك، (٦/١٥-١٦)، ظاهرة موجودة بكثرة عافنا الله منها، ولكن ينبغي أن يعلم كل على ثغر، وكل يخدم دين الله، وهذا الخوض لا يحسن من طلاب العلم وأهله، ولكن لو سأل عن عالم فأرشد لا حرج؛ أما التقييم والقدح فهذا مذموم..

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وإذا علمت بأنَّه متفاضل

فاشغل فؤادك بالذي هو أفضل [٧٤].

قال الإمام أبو إسحاق الشاطبي، وهو يذكر حال الإمام "ابن بطة"، مشبهاً حاله في غربته كحال ابن بطة فيقول: «فكنت (على حالة) تشبه حالة الإمام الشهير عبد الرحمن بن بطة الحافظ مع أهل زمانه، إذ حكى عن نفسه.

فقال: "عجبت من حالي في سفري وحضري مع الأقربين مني والأبعدين، والعارفين والمنكرين، فإني وجدت بمكة وخراسان وغيرهما من الأماكن أكثر من لقيت بها موافقا أو مخالفا دعاني إلى متابعته على ما يقوله، وتصديق قوله، والشهادة له، فإن كنت صدقته فيما يقول وأجزت له ذلك ـ كما يفعله أهل هذا الزمان ـ سمَّاني موافقاً.

وإن وقفت في حرف من قوله، أو في شيء من فعله سمَّاني مخالفاً.

وإن ذكرت في واحد منها أنَّ الكتاب والسنة بخلاف ذلك وارد، سمَّاني خارجياً.

وإن قرئ علي حديث في التوحيد سمَّاني مشبهاً.

وإن كان في الرؤية سماني سالمياً.

---

[٧٤] -معجم الأدباء، (٦/٢٨٣١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وإن كان في الإيمان سمَّاني مرجئياً.

وإن كان في الأعمال، سمَّاني قدرياً.

وإن كان في المعرفة سمَّاني كرامياً.

وإن كان في فضائل أبي بكر وعمر سمَّاني ناصبياً.

وإن كان في فضائل أهل البيت سمَّاني رافضياً.

وإن سكت عن تفسير آية أو حديث، فلم أجب فيهما إلا بهما، سماني ظاهرياً، وإن أجبت بغيرهما سماني باطنياً، وإن أجبت بتأويل سماني أشعرياً، وإن جحدتهما سمَّاني معتزلياً.

وإن كان في السنن مثل القراءة سمَّاني شفعوياً.

وإن كان في القنوت سمَّاني حنفياً.

وإن كان في القرآن سمَّاني حنبلياً.

وإن ذكرت رجحان ما ذهب كل واحد منهم إليه من الأخبار- إذ ليس في الحكم والحديث محاباة- قالوا: طعن في تزكيتهم.

ثمَّ أعجب من ذلك أنهم يسمونني فيما يقرؤون علي من أحاديث رسول الله ﷺ ما يشتهون من هذه الأسامي، ومهما وافقت بعضهم عاداني غيره، وإن داهنت جماعتهم أسخطت الله تبارك وتعالى، ولن

يغنوا عني من الله شيئا. وأنا مستمسك بالكتاب والسنة، وأستغفر الله الذي لا إله إلا هو وهو الغفور الرحيم".

هذا تمام الحكاية، فكأنه رحمه الله تكلم على لسان الجميع، فقلَّما تجد عالماً مشهوراً، أو فاضلاً مذكوراً، إلا وقد نبز بهذه الأمور أو بعضها؛ لأنَّ الهوى قد يداخل المخالف، بل سبب الخروج عن السنَّة الجهل بها، والهوى المتبع الغالب على أهل الخلاف، فإذا كان كذلك حمل على صاحب السنة أنَّه غير صاحبها، ورجع بالتشنيع عليه، والتقبيح لقوله وفعله، حتى ينسب هذه المناسب»[٧٥].

ومن مخاطر ذلك أن يلتبس على الناس العالم من المتعالم بسبب تفنن بصيغة العبارة، ولحن في القول، وجمال في الشكل، وصياح على المنابر، فيظنُّ الناس أنَّه عالم متفنن، وقطب أعظم!.

قال السخاوي: «ولذلك قال بعض أئمة الحديث في هذا المحل: الذي يطلق عليه اسم المحدث في عرف المحدثين أنْ يكون كتب وقرأ وسمع ووعى، ورحل إلى المدائن والقرى، وحصَّل أصولًا، وعلق فروعًا من كتب المسانيد والعلل والتواريخ التي تقرب من ألف تصنيف، فإذا كان كذلك، فلا يُنكُر له ذلك، **وأمَّا إذا كان على رأسه طيلسان، وفي رجليه نعلان، وصحب أميرًا من أمراء الزمان، أو من تحلَّى**

[٧٥] -انظر: الاعتصام، (١/ ٢٨-٣٢) ط: ابن الجوزي.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بلؤلؤ ومرجان، أو بثياب ذات ألوان، فحصل تدريس حديث بالإفك والبهتان، وجعل نفسه ملعبة للصبيان، لا يفهم ما يقرأ عليه من جزء ولا ديوان، فهذا لا يطلق عليه اسم محدث؛ بل ولا إنسان، وإنَّه مع الجهالة آكل حرام، فإنْ استحله خرج من دين الإسلام»[٧٦].

وقال الشيخ أبو إسحاق: "فظاهرةُ التعالمُ هي التي شوهت جمالَ هذه النهضة، وأتاحت هذه الفهارسُ لكل متنفخٍ أن يتطاول على الشوامخ، وكم لهذا التعالم من مضارٍّ، من أهوانها -مع فداحته- أن يختلط العالم بشبيه العالم، ولا يميز الناس بينهما، فيستفتون شبيه العالم فيقع الخبط والخلط، وممَّا يدل على صحة ما أقول ما أخرجه الشيخان، من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ في قصة الذي قتل مائة نفس. وفي الحديث أنَّ القاتل سأل عن أعلم أهل الأرض، فدلوه على راهب فسأله، فقال: إنِّي قتلت تسعة وتسعين نفسًا فهل لي توبة؟ قال: نعم، ومن يحجب عنك باب التوبة، اخرج إلى أرض كذا وكذا.. إلى آخر الحديث المشهور، فما دلت النَّاس القاتل على الراهب الأول؛ إلا لأنها تظنه عالماً لتشابه أزيائهم ووجوههم، وهكذا كل من لبس جبة وعمامة، وأرخى لحيته فهو عند العوام عالم.

---

[٧٦] -فتح المغيث، (١/٨١). ط: المنهاج.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويذكرني هذا التشابه بين العالم وشبيهه مع البون الشاسع بينهما في الجوهر بقصةٍ ذكرها أبو الفرج في "الأغاني"[٧٧] فقد ذكر أنَّ الشاعر ثابت بن جابر، المعروف بـ ((تأبَّط شرًّا)) لقي ذات مرة رجلًا من "ثقيف" يقال له: "أبو وهب"، وكان رجلًا أهوج، وعليه حُلَّةٌ جيِّدةٌ، فقال أبو وهب لتأبَّط شرًا: بم تغلب الرجال يا ثابت، وأنت كما ترى دميم وضئيل؟! قال: باسمي!! إنَّما أقول ساعة ألقى الرَّجل: أنا تأبَّط شرًّا، فينخلع قلبه، حتى أنال منه ما أردت! فقال له الثقفي: أبهذا فقط؟! قال: قط! قال: فهل لك أن تبيعني اسمك؟ قال: نعم، فبم تبتاعه؟ قال: بهذه الحُلَّة، وبكنيتي. قال له: أفعلُ. ففعلا، وقال تأبط شرًا: لك اسمي ولي اسمك، وأخذ حُلَّته، وأعطاه طمريه، ثمَّ انصرف. فقال تأبط شرًا يخاطب زوجة هذا الثقفي:

ألا هل أتى الحسناء أن حليلَها
تأبَّط شرًّا واكتنيتُ أبا وهبِ
فَهَبْهُ تسمَّى اسمى وسمَّانى اسمَهُ
فأين له صبري على مُعْظَمِ الخطْبِ
وأين له بأسٌ كبأسي وسَوْرتي
وأين له فى كلِّ فادحةٍ قلْبي

وقد توجع بعض الأذكياء من كثرة أشباه العلماء فى ديار المسلمين، وأطلق عليهم اسم ((المجدينات)) بدل ((المجددين)) ، فقال له

---

[٧٧] -(٨/ ٢١١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سامعُهُ: وما المجددينات؟ ما هو بجمع مذكر سالم، ولا جمع مؤنث سالم؟ فقال له: هذا جمع ((مخنثٍ)) سالم!! فأقسم له سامعه أنَّ اللغة العربية في أمسِّ الحاجة إلى هذا الجمع، خصوصًا في هذه الأيام!

فإذا كان الخطأ ملازما للبشر؛ لا يعرى عنه مخلوق مهما اجتهد واحتاط لنفسه في تحري الحق، فليس من الإنصاف أن يعير المرء به إذا وقع منه، لا سيَّما إن كان أهلا للنظر، ولو أراد أحد أن لا يخطىء في شيء من العلم، فينبغي له أن يموت وعلمه في صدره، فليس إلى العصمة من الخطأ سبيل إلا بتفضل رب العالمين على عبده..."[٧٨].

ومن أهم الأسباب الباعثة على هذه الظاهرة، دعوة التفنن في العلوم، وبهذا يقع في التعالم بدون أن يعلم، ولو اكتفى بفنه، أو بما يعلمه كان خيرًا له، وقد ظن بعضهم: أنَّه "بلغ في العلم أطوريه"[٧٩].

❶ -ولله درُّ الإمام أحمد يوم مات أبو بكر الأعين، قال لما بلغه موته: «إنِّي لأغبطه، مات وما يعرف غير الحديث»[٨٠].

---

[٧٨] -تنبيه الهاجد إلى ما وقع من النظر في كتب الأماجد، (١/٣٠-٣١).

[٧٩] -الأمثال للهاشمي، رقم (٤٧٢) ومعنى ذلك: "يعني منتهاه".

[٨٠] -انظر: طبقات علماء الحديث، (٢/٢٢٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

❷-«ويحكى أنَّ أبا حنيفة أتى حماداً فقال له: ما جاء بك؟ قال: أطلب الفقه قال: تعلم كل يوم ثلاث مسائل ولا تزد عليها شيئاً حتى يتفق لك شيء من العلم ففعل، ولزم الحلقة حتى فقه، فكان الناس يشيرون إليه بالأصابع»[٨١].

❸-وقال مالك: «ابن وهب عالم، ونظر إليه يوماً، فقال: أي فتى لولا الإكثار»[٨٢].

❹-وقال الشافعي رضي الله عنه: «من تعلم علمًا فليدقق فيه لئلا يضيع دقيق العلم»[٨٣].

❺-وحدث سفيان، قال سمعت الخليل بن أحمد يقول: «إذا أردت أن تعلم العلم لنفسك فاجمع من كلّ شيء شيئًا، وإذا أردت أن تكون رأسًا في العلم فعليك بطريق واحد، ولذلك قال الشعبي: ما غلبني إلا ذو فنّ»[٨٤].

---

[٨١] -الفقيه والمتفقه، (٢/٢٠١).

[٨٢] -ترتيب المدارك، (٣/٢٣١).

[٨٣] -المدخل إلى السنن الكبرى، رقم (٤١٦).

[٨٤] -معجم الأدباء، (١/٢٠).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

❻-وقال الجاحظ: «وقد يكون الرجل يحسن الصنف والصنفين من العلم، فيظنُّ بنفسه عند ذلك أنَّه لا يحمل عقله على شيءٍ إلا نفذ به فيه»[٨٥].

وهذا من جناية التخصص المعزول على الطالب، حيث يظنُّ أنَّ خبرته بتخصصهِ تمكنه من مختلف مجالات المعرفة، فيستطيلُ بضيقِ تخصصهِ على اتساع العلوم، فيأتي بذلك بالعجائب"[٨٦].

■ وهذا بعضًا من الكلام الذي نبه السلف عليه.

➢-قال العلامة أبو الحسنات اللكنوي: «فإنَّ الله تعالى جعل لكل مقامٍ مقالًا، وخلق لكل فنٍّ رجالًا، فكم من فقيه غائص في بحار العلوم القاسية عاد عن تنقيد الأدلة الأصلية، وكم من محدث نقاد عاد عن تفريع الفروع الفقهية وتأصيلها على القواعد الأصلية، وكم من مفسر خائض في القرآن لا تمييز له في معرفة الأحاديث الصحيحة والسقيمة، ولا امتياز له بين المشهورة وبين المصنوعة، وكم من صوفي سابح في بحار العلوم اللدنية عاجز عن درك ما يتعلق بالعلوم الظاهرية، وكم من عالم متبحر جامع للعلوم الظاهرة لا مذاق له في اللطائف الباطنة، فإذن الواجب أن ننزل الناس منازلهم ونوفيهم

---

[٨٥] -رسالة الحنين إلى الأوطان، من مجموع الرسائل، (٣/٤٤).

[٨٦] -ارتياض العلوم، (ص٨٧).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حظهم ونعرف مرتبتهم وقدرهم، فلا نعرج الأدنى إلى رتبة الأعلى، ولا ننزل الأعلى إلى مرتبة الأدنى»[٨٧].

➢ -قال ابن مفلح: "ولذلك تجد من بلغ الإمامة من المتقدمين في علم من العلوم لا يكاد يشتغل بغيره، ولا ينسب إلى غيره وقد نظمت أبياتا في شأن من ينهز بنفسه.."[٨٨].

➢ -وقال الحافظ الذهبي في "تذكرة الحفاظ"، في ترجمة "الحليمي"، "نوح الجامع مع جلالته في العلم ترك حديثه، وكذلك شيخه مع عبادته، فكم من إمام في فن مقصر عن غيره كسيبويه مثلًا إمام في النحو ولا يدري ما الحديث، ووكيع إمام في الحديث ولا يعرف العربية، وكأبي نواس رأس في الشعر عري من غيره، وعبد الرحمن بن مهدي إمام في الحديث لا يدري ما الطب قط، وكمحمد بن الحسن رأس في الفقه ولا يدري ما القراءات، وكحفص إمام في القراءة تالف في الحديث. "وللحروب رجال يعرفون بها"[٨٩].

➢ -وقال في ترجمة ابن الجوزي: "ومع تبحر ابن الجوزي في العلوم، وكثرة اطلاعه، وسعة دائرته، لم يكن مبرزًا في علم من العلوم، وذلك

---

[٨٧] -الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، (ص٨).

[٨٨] -الآداب الشرعية، (١٢٥/٢).

[٨٩] -تذكرة الحفاظ، (١٠٣١/١)، وانظر في كلامه حول عاصم بن أبي نجود، (٢٦٠/٥) كما في "السير" فهو مفيد.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شأن كل من فرق نفسه في بحور العلم، ومع أنَّه كان مبرزًا في التفسير، والوعظ، والتاريخ، ومتوسطًا في المذهب، متوسطًا في الحديث، له اطلاع تام على متونه، وأمَّا الكلام على صحيحه وسقيمه، فما له فيه ذوق المحدثين، ولا نقد الحفاظ المبرزين، فإنَّه كثير الاحتجاج بالأحاديث الضعيفة، مع كونه كثير السياق لتلك الأحاديث في الموضوعات، والتحقيق أنَّه لا ينبغي الاحتجاج بها، ولا ذكرها في الموضوعات، وربما ذكر في الموضوعات أحاديث حسانًا قوية"[٩٠].

وقارن كلام الذهبي بكلام ابن حزم، لتأخذ فائدة نفيسة، وهي عدم الاقتصار على فنٍ واحد، وعدم التعمق في كل الفنون، وهذا الكلام في العموم، أمَّا من فتح له، وكان لديه المتسع من الوقت فلا حرج[٩١]، وعلى كل فلا بدَّ من النَّظر في العلوم، والتخصص في واحد، ثمَّ التفنن فيه، والله أعلم.

---

[٩٠] –تاريخ الإسلام، (١٢/١١٠٠).

[٩١] –قال الأزهري: كان الدارقطني ذكيًا، إذا ذكر شيئًا من العلم أي نوع كان، وجد عنده منه نصيب وافر، لقد حدثني مُحَمَّد بن طلحة النعالي: أنَّه حضر مع أبي الحسن دعوة عند بعض الناس ليلة، فجرى شيء من ذكر الأكلة، فاندفع أبو الحسن يورد أخبار الأكلة وحكاياتهم ونوادرهم، حتى قطع أكثر ليلته بذلك، السير للذهبي (١٦/٤٥٤)، وفي "البداية والنهاية"، (١٥/٤٦١) قال عبد الغني بن سعيد المصري: لم يتكلم على الأحاديث مثل علي بن المديني في زمانه، وموسى بن هارون في زمانه، والدارقطني في زمانه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

➢ -قال ابن حزم في "مراتب العلوم": "ومن لم يسمع إلا من عالم واحد أوشك أن لا يحصل على طائل، وكان كمن يشرب من بئر واحدة ولعله اختار الملح المكدر، وقد ترك العذب. ومع اعتراك

وفي "تهذيب الكمال" للمزي، (١٢/٢٠٦-٢٠٧)، عن أبي حاتم سهل بن مُحَمَّد السجستاني، قال: ولي رجل من أهل الكوفة من بني هاشم أعمال البصرة فدخلت عليه مسلما، فقال: من علماؤكم بالبصرة؟ قلت: المازني من أعلمهم بالنحو، والرياشي من أعلمهم بعلم الأصمعي، والزيادي من أعلمهم بعلم أبي زيد، وهلال الرأي من أعلمهم بالرأي، وابن الشاذكوني من أرواهم للحديث، وابن الكلبي من أكتبهم للشروط، وأنا - أصلحك الله - أنسب إلى العلم بالقرآن. فقال لكاتبه: اجمعهم عندي. فجمعنا عنده، فقال: أيكم أبو عثمان المازني؟ قال: ها أنا ذا. قال: ما تقول في كفارة الظهار، أيجوز فيه عتق غلام أعور؟ قال: وما علمي بهذا، علمه عند هلال، فالتفت إلى هلال، فقال: (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) علام ما انتصب؟ قال: وما علمي بهذا، علمه عند الرياشي.

فالتفت إلى الرياشي، فقال: كم حديثا روى ابن عون عن الحسن؟ قال: وما علمي بهذا، علمه عند ابن الشاذكوني. فالتفت إلى ابن الشاذكوني، فقال: ما العنجد في كلام العرب؟ قال: وما علمي بهذا، علمه عند ابن الزيادي. فالتفت إلى الزيادي، فقال: كيف تكتب وثيقة بين رجل وامرأة أرادت الخلع بترك صداقها؟ قال: وما علمي بذا، علمه عند ابن الكلبي.

فالتفت إلى ابن الكلبي، فقال: ألا إنهم تثنوني صدورهم من قرابة. قال: وما علمي بذا، علمه عند ابن السجستاني، فالتفت إلي فقال: كيف تكتب كتابا إلى أمير المؤمنين تذكر فيه خصاصة أهل البصرة وما نالهم من الضياع في نخلهم؟ قلت: أصلحك الله لست صاحب بلاغة ولا أحسن إنشاء الكتب إلى السلطان. فقال: ما مثلكم إلا مثل الحمار، يسعى الرجل في الفن الواحد خمسين سنة ثم يزعم أنه عالم، لكن عالمنا بالكوفة لو سئل عن هذا كله لأجاب. قيل: إنه أراد الكسائي والله أعلم، وغير ذلك مما هو في بطون الكتب، والله الموفق.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأقران ومعارضتهم يلوح الباطل من الحق، ولا بد، فمن طلبه كما ذكرنا أوشك أن ينجح مطلبه وأن لا يخفق سعيه، وأن يحصل في المدة اليسيرة على الفائدة العظيمة. ومن تعدى هذه الطريق كثر تعبه، وقلت منفعته. ومن اقتصر على علم واحد لم يطالع غيره؛ أوشك أن يكون ضحكة وكان ما خفي عليه من علمه الذي اقتصر عليه، أكثر مما أدرك منه لتعليق العلوم بعضها ببعض، كما ذكرنا، وأنها درج بعضها إلى بعض، كما وصفنا، ومن طلب الاحتواء على كل علم أوشك أن ينقطع وينحسر، ولا يحصل على شيءٍ»[٩٢].

ومن خير الوسائل أنَّ الطالب لا يتصدر إلا إذا زكي من قبل شيوخه الثقات العارفين، واحتيج إلى علمه، فلا حرج في ذلك.

-قال إمام دار الهجرة مالك رحمه الله: «لا ينبغي للعالم أن يفتي حتى يراه الناس أهلاً لذلك، ويرى هو نفسه أهلا لذلك»[٩٣].

-وذكر ابن الجوزي عنه في "تلبيس إبليس"، قال: «ما أفتيت حتى سألت سبعين شيخاً، هل ترون لي أن أفتى؟ فقالوا: نعم، فقيل له: فلو نهوك؟ قال: لو نهوني انتهيت»[٩٤].

---

[٩٢] -رسائله، (٤/٧٨)، وانظر: الارتياض "شعاب العلم" فهو مفيد ونافع.

[٩٣] -الفروق، (٢/١١٠).

[٩٤] -تلبيس إبليس، (ص١٢٥).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

✍-وقال إبراهيم بن أدهم: «إذا تكلم الحدث في الحلقة أيسنا من خيره»[٩٥].

✍-وقال الحافظ ابن عساكر الدمشقي رحمه الله: «لما عزمت على التحديث-والله المطلع أنه ما حملني على ذلك حب الرئاسة، والتقدم بل قلت: متى أروي كل ما سمعت؟ وأيُّ فائدة في كوني أخلفه صحائف-فاستخرت الله، واستأذنت أعيان شيوخي، ورؤساء البلد، وطفت عليهم، فكلهم قال: منْ أحق بهذا منك؟! فشرعت في ذلك سنة ثلاث وثلاثين، وخمس مائة، وكان حافظ العصر أبو الحجاج المزي يميل إلى أن ابن عساكر لم يرَ مثل نفسه»[٩٦].

✍-وممَّا يذكر أنَّ السلطان سليمان القانوني، "أمر ببناء مدارس للمذاهب الأربعة بمكة المكرمة، يتولاها متخصصون بكل مذهب وجعل لها أوقافاً كبيرة، وصار يدرس فيها العلوم الشرعية والكونية"[٩٧].

هو بهذا حسم الفوضى الفقهية، ومنع تصدر أهل التعالم، وحصر العلم في الأخذين له العاملين به، لا في المدَّعين له المتطاولين على

---

٩٥ -الفقيه والمتفقه، (١/٥٠٠).

٩٦ -مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، (٥/٥٢٥).

٩٧ -ذكره قطب الدين النهروالي في الإعلام، (ص٣٥٠).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الخلق، وجزى الله السبكي حينما قال: "فلعمر الله!! لا أحصي من رأيته يشمِّر عن ساعد الاجتهاد في الإنكار على شافعي يذبح ولا يُسّمي، أو حنفيّ يلمس ذكره، ولا يتوضأ، أو مالكيّ يصلِّي ولا يبسمل، أو حنبليّ يقدم الجمعة على الزوال؛ وهو يرى من العوامّ ما لا يحصي عدده إلَّا الله تعالى، يتركون الصلاة التي جزاء من تركها عند الشافعي ومالك وأحمد ضرب العنق، ولا ينكرون عليه، بل لو دخلَ الواحد منهم بيته لرأى كثيرًا من نسائه يترك الصلاة، وهو ساكت عنهنَّ. فيالله وللمسلمين! **أهذا فقيه على الحقيقة! قبَّح الله مثل هذا الفقيه**"[٩٨] . بل هو متعالم أشر.

وللعلماء ألفاظ اطلقوها، وعبارة قالوها في حق من يدعي شيئاً وهو لا يعلمه، وهذه العبارات مما رأيته في بطون الكتب، فأذكرها وليست هي من باب الحصر.

فأقول مستعينًا بربي وخالقي.

أسماء أهل التعالم وألقابهم

[٩٨] –انظر: "معيد النعم ومبيد النقم"، المثال، السادس والأربعون، (ص٦٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أبا شبر.

وبه وصف الإمام عامر بن شرحبيل الشعبي، (ت١٠٤هـ).

✍-فقال رحمه الله: «العلم ثلاثة أشبار:

فمن نال شبراً منه شمخ بأنفه، وظن أنَّه ناله.

ومن نال منه الشبر الثاني صغرت إليه نفسه، وعلم أن لم ينله.

وأمَّا الشبر الثالث: فهيهات لا يناله أحداً أبداً»[٩٩].

✍-وقال ابن حزم في "مراتب العلوم": «ونحن نوصي طالب العلم بأنْ لا يذم ما جهل منها، فهو دليلٌ على نقصهِ وقوله بغير معرفة، وأن لا يعجب بما علم فتطمس فضيلته، ويستحق المقت من الواهب له ما وهب، وأن لا يحسد من فوقه حسداً يؤديه إلى تنقيصه، فهذه رذيلتان»[١٠٠].

[٩٩] -أدب الدنيا، (ص٧٣) ط: مكتبة الحياة.

[١٠٠] -رسائله، (٤/٨١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تطير قبل أن يتريش.

قاله الحافظ الذهبي-رحمه الله- ونصه: «من بلغ رتبة الاجتهاد، وشهد له بذلك عدة من الأئمة، لم يسغ له أن يقلد، كما أن الفقيه المبتدئ والعامي الذي يحفظ القرآن أو كثيرا منه لا يسوغ له الاجتهاد أبدًا، فكيف يجتهد، وما الذي يقول؟ وعلام يبني؟ وكيف يطير ولما يريش»[(١٠١)].

البغاث يستنسر.

ومنه قول القائل:

وغابت أسود الغاب فاستنسرت بها

بغاث فما يروي نداها غليلها.

وقالت العرب: «البغاث بأرضنا يستنسر» أي من جاورنا عز بنا.

وقيل: معناه إنَّ الضعيف يستضعفنا، ويظهر قوته علينا»[(١٠٢)].

قال الشيخ ناصر الدين: "قد يخفى على بعض الناس المقصود من هذا الكلام أو من هذا المثل، البُغاث: هو طائر صغير لا قيمة له، فيصبح هذا الطير الصغير، نسراً عند الناس، لجهلهم بقوة النسر

---

[١٠١] -سير أعلام النبلاء، (١٩٠/١٨).

[١٠٢] -انظر: حياة الحيوان للدميري، (٢٠٠/١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وضخامته، فصدق هذا المثل على كثيرٍ ممن يدْعُونَ بحق وبصواب، أو بخطأٍ وباطلٍ إلى الإسلام»[١٠٣].

قلت: ومن معناه يصح أن يقال: أنَّ الجاهل يتعالم ويدعي العلم.

وشبيه هذا، قول القائل:

"شَيْئَانِ عجيبان هما أبرد من يخ
شيخٌ يتصابى وَصبي يتشايخ[١٠٤].

وقريبًا منه، ما رواه الطحاوي: حدثنا يونس، سمعت سفيان -وذكر حديثًا- فقالوا: يخالفك فيه مالك.
فقال: أتقرنني بمالك؟ ما أنا وهو إلا كما قال جرير:

وَابْنُ اللَّبُوْنِ إِذَا مَا لُزَّ فِي قَرَنٍ
لَمْ يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ البُزْلِ القَنَاعِيْسِ[١٠٥].

---

[١٠٣] -انظر: موسوعة الألباني في العقيدة، (٢١٤/١).

[١٠٤] -خلاصة الأثر، للمحبي الحموي الدمشقي، (٤٣٥/٢)، واليخ: هو الثلج كما في الفارسية.

[١٠٥] -سير أعلام النبلاء، "ترجمة مالك"، (٧٣/٨-٧٤)، "ابن اللبون: ما أوفى على ثلاث سنين، لز: ربط.
القرن: الحبل الذي يشد به البعيران
ونحوهما فيقرنان معا، والبزل: جمع بازل: البعير الذي دخل في السنة التاسعة، والقناعيس: جمع قنعاس: الجمل العظيم الجسم، الشديد القوة، قال البغدادي: ضربه مثلا لمن يعارضه

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الصعافقة.

➢ -قال الشعبي: «ما جاءك من أصحاب مُحَمَّد ﷺ فخذه، ودع ما يقول هؤلاء الصعافقة»[١٠٦].

➢ -وفي "الفقيه والمتفقه" بسندهِ عن صالح بن مسلم ، قال: كنت عند الشعبي ونحن ثلاثة أو أربعة، فقال من غير أن يسأله أحد منا عن شيء: «إنَّما هلكتم حين تركتم الآثار، وأخذتم بالمقاييس، يعلم الله، لقد بغضوا إليَّ هذا المسجد حتى لهو أبغض إلي من كناسة داري هؤلاء الصعافقة»[١٠٧].

➢ -قال ابن الأثير "الصعافقة": «هم الذين يدخلون السوق بلا رأس مال، فإذا اشترى التاجر شيئًا دخل معه فيه، واحدهم صعفق.

وقيل صعفوق، وصعفقي. أراد أن هؤلاء لا علم عندهم، فهم بمنزلة التجار الذين ليس لهم رأس مال»[١٠٨].

ويهاجيه، يقول: من رام إدراكي كان بمنزلة ابن اللبون إذا قرن في قرن مع البازل القنعاس، إن صال عليه لم يقدر على دفع صولته ومقاومته، وإن رام النهوض معه قصر عن عدوته".

[١٠٦] -انظر: شرح السنة للبغوي، (٣١٨/١)، وبنحوه في "سير أعلام النبلاء"، (٢١١/٥-٢١٢)..

[١٠٧] -الفقيه والمتفقه، (٤٦٢/١)، وهو في "المدخل" للبيهقي، رقم (٢٢٨).

[١٠٨] -النهاية لابن الأثير، (٣١/٣)، والبغوي في "شرح السنة" عقب الأثر، (٣١٨/١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وفي هذا تعلم قيمة قول الإمام شعبة: «خذوا العلم من المشهورين»[١٠٩].

ومثله: قول إبراهيم بن سعد: «لا يحدث عن رسول الله إلا الثقات»[١١٠].

[١٠٩]-الجرح والتعديل، (٢٨/٢).

[١١٠]-انظر: الكفاية للخطيب، (ص٤٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حاطب ليل[١١١].

وهي عبارة تختلف مدلولاتها فيراد بها من يكتب العلم ويطلبه بدون برهان[١١٢]، أو يدون الحديث بلا إسناد، أو يجمع في كتبه الغث

---

[١١١] -وقريبًا من معنى حاطب ليل، قولهم: (عصا موسى، تلقف ما يأفكون)، كما في "المقترح في بعض أجوبة المصطلح"، (ص٨٧-٨٨)، وهذه العبارة وجدتها في "سير أعلام النبلاء" في ترجمة "مُحَمَّد بن عثمان بن أبي شيبة" قال عنه مطين: "هو عصا موسى، يتلقف ما يأفكون" (٢٢/١٤).

[١١٢] -وعادة أهل الحديث التوثق من حال الشيخ في الأخذ عنه، والسماع له، وكذا السؤال عنه، روى الدارمي في "سننه" (٤٣٧)، بسنده عن أبي العالية، قال: "كنَّا نأتي الرجل، لنأخذ عنه، فننظر إذا صلى، فإن أحسنها، جلسنا إليه، وقلنا: هو لغيرها أحسن. وإن أساءها، قمنا عنه، وقلنا: هو لغيرها أسوأ". وهذا من أعظم الفقه أن ينظروا لصلاته، ولها مفاهيم بعيدة لا يدرك سرها كل أحد!

وروى الخطيب في "الكفاية" (١٠٨)، عن الحسن بن صالح، قال: "كنَّا إذا أردنا أن نكتب عن الرجل سألنا عنه، حتى يقال لنا: أتريدون أن تزوجوه".

وقال الحسن البصري رحمه الله: "لم يبق من العلم إلا غبرات قليل، في اوعية سوء، فانظروا عمّا تأخذون دينكم" كما في "العلم والحلم" لإياس بن معاوية، (ص١٦٣)، وذكره ابن عدي كما في مقدمة "الكامل" (١/١٣).

وكان طاووس يعد الحديث حرفًا حرفًا، وقال: تعلم لنفسك، فإنَّ الناس قد ذهبت منهم الأمانة" كما في "السير"، (٤٦/٥).

ومن هنا تفهم معنى قول الدارقطني: عن "أحمد بن مروان القطان"، "شيخ من الشيعة حاطب ليل لا يكاد يحدث عن ثقة، متروك". كما في سؤالات البرقاني ،(٣٧٣/١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والثمين، أو من ينقل الشيء ولا يثبت في نقله، أو يحكم على شيء وهو في الواقع بخلافه[١١٣]، وهذه الصفات -إن كثرت- ليست من صفات العالمين العارفين، وإنما هي صفات المتعالمين، والله المعين.

➢ -قال سفيان بن عيينة: «قال لي عبد الكريم الجزري: يا أبا مُحَمَّد، تدري ما حاطبُ ليل؟

قال: قلت: لا إلا أن تخبرنيه.

قال: هو الرجل يخرج من الليل فيتحطب، فتقع يده على أفعى فتقتله.

هذا مثلٌ ضربته لك لطالب العلم، إنَّ طالبَ العلم إذا حمل من العلم ما لا يُطيقه، قتله علمه، كما قتلت الأفعى حاطب ليْل»[١١٤].

---

[١١٣] -كما فعل ابن حجر في "لسان الميزان" في ذكر ترجمة "ثمامة بن الأشرس"، (٨٣/٢) وأورد بن الجوزي هذه القصة في حوادث سنة ثلاث عشرة، وترجم لثمامة فيمن مات فيها، وفيها تناقض؛ لأن قتل أحمد بن نصر تأخر بعد ذلك بدهر طويل، فإنه قتل في خلافة الواثق سنة بضع وعشرين، وكيف يقتل قاتله سنة ثلاث عشرة؟ والصواب: أنَّه مات في سنة ثلاث عشرة، ثم ذكر قائلًا: "دلت هذه القصة على أن بن الجوزي حاطب ليل لا ينقد ما يحدث به"

قلت: وهذا لا ينقص من رتبة ابن الجوزي، ولا ينزله بمنزلة أهل التعالم فانتبه، "فلكل جواد كبوة، ولكل عالم هفوة"، والعصمة ماتت بموت خير الخلق صلوات الله عليه وسلامه.

[١١٤] -أخرجه البغوي في "الجعديات" (١٠٤٨)، وذكره الذهبي في "السير"، (٢٧٢/٥).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

➢ -وعن الربيع بن سليمان، قال: سمعت الشافعي يقول: «مثل الذي يطلب العلم بلا حجة مثل حاطب ليل يحمل حطب فيها أفعى تلدغه وهو لا يدري».

قال نمير أبي العباس، عن الربيع: «مثل الذي يطلب الحديث بلا إسناد»[١١٥].

➢ -وذكره الخطيب في "نصيحة أهل الحديث"، بسندهِ عن الربيع قال: سمعت الشافعي وذكر من يحمل العلم جزافًا، فقال: «هذا مثل حاطب ليل يقطع حزمة حطب فيحملها، ولعل فيها أفعى فتلدغه وهو لا يدري».

قال الربيع: «يعني الذين لا يسألون عن الحجة من أين؟»[١١٦].

ونظير هذا قول سعيد بن عبد العزيز الدمشقي في سعيد بن بشير: كان غالب (علمه) التفسير، «خذ عنه التفسير ودع ما سوى ذلك، فإنَّه كان حاطب ليل»، خرجه العقيلي[١١٧].

---

[١١٥] -المدخل إلى كتاب الإكليل، (ص٥٥) ت: السلوم، و "المدخل إلى السنن الكبرى" (٢٦٣)، ت: الأعظمي.

[١١٦] -نصيحة أهل الحديث، (ص٣٢).

[١١٧] -كما في "شرح علل الترمذي"، (٦٥٩/٢) ط: دار السلام، وهو كما قال في "الضعفاء الكبير"، (١٠٠/٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

-قال الشوكاني: «وقد كثر هذا الصنع من جماعة يبرزون في معرفة مسائل الفقه التي هي مشوبة بالرأي إن لم يكن هو الغالب عليها، ويتصدرون لتعليم الطلبة لهذا العلم، ثمَّ تكبر أنفسهم عندهم لما يجدونه من اجتماع الناس عليهم، وأخذ العامة بأقوالهم في دينهم؛ فيظنون أنهم قد عرفوا ما عرفه الناس، وظفروا بما ظفر به علماء الشريعة المتصدرون للتأليف والكلام على مسائل الشريعة؛ فيجمعون مؤلفات هي مما قمشت، وطن حبل الحاطب صنع من لا يدري لمن لا يفهم، ثم يأخذها عنهم من هو أجهل منهم، وأقصر باعًا في العلم، فينشر في العالم، وتظهر في الملة الإسلامية فاقرة من الفواقر، وقاصمة من القواصم، وصاحبها لجهله يظن أنَّه قد تقرب إلى الله بأعظم القرب، وتاجره بأحسن متاجرة، وهو فاسد الظن، باطل الاعتقاد، مستحق لسخط الله وعقوبته؛ لأنَّه أقدم في محل الإحجام، وتحلى بما ليس له، ودخل في غير مدخله»[(١١٨)].

[١١٨] -أدب الطلب، (ص٧٨-٧٩).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حلم اليقظة.

قال الشيخ بكر: «إيَّاك و (حلم اليقظة)، ومنه بأن تدعي العلم لما لم تعلم، أو إتقان ما لم تتقن، فإن فعلت، فهو حجاب كثيف عن العلم»[١١٩] أهـ.

ومن جناية هذه الدعاوي، أنَّها سبب في فضح صاحبها في بعض الأحيان، وسبيل لمعرفة لما عند طالبها والمتحلي بها من العلم والتحمل، وبلية تحجب عن صاحبها فعل كثير من الخير، والإقدام على كثير من العلم، فلا يتعلم العلم مستحٍ أو متكبر؛ وذلك لإنَّه إذا تصدر نظر إلى من هو فوقه أنَّه مثله، والأدهى أن يروي كلاماً ليس هو أهلاً له "نحن رجال وهم رجال"[١٢٠]، وقد يصل الأمر إلى أن يراه أدنى منه، فترى مثلاً لم يسمع منه شيئاً، وينبزه في المجالس حياً كان أو ميتاً، وقد يصل الأمر وهذا شأن بعض المتعالمين أن يتصيد العثرات التي لا يخلو منها بشر، ويتتبع السقطات التي لا ينجو منها أحد، وقد عُلِم: أنه لكل "جود كبوة، ولكل صارم نبوة، ولكل عالم هفوة"[١٢١].

---

[١١٩] –حلية طالب العلم، (ص١٩٨).

[١٢٠] –وشتان بين هؤلاء الرجال وهؤلاء، كما بين الثرى والثريا، والجواب بحق هؤلاء القوم أن يقال لهم ما قاله علي ﷺ، (يا أشباه الرجال، ولا رجال)، انظر: العقد الفريد، (٣/٧٤).

[١٢١] –المجالسة وجواهر العلم، (٤/٣٣٥).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكما قال الشاعر:

نعوذ بالله من أناسٍ
تَشَيخُّوا قبل أن يشيخوا
تقوسوا وانحنوا رِياءً
فاحذرهم إنَّهم فخوخ [١٢٢].

فانظر رحمني الله وإيَّاك: «كيف انعكس الحال-يعني اليوم-صار المرهوب منه مطلوباً، والمطلوب مرهوباً»[١٢٣].

[١٢٢] -"شرح مقامات الحريري" للشريشي، (١/٨١).

[١٢٣] -فيض القدير، (١/١٥٩).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأصاغر.

➢ -روى عبد الله ابن المبارك، أخبرنا عبد الله بن لهيعة، قال: حدثني بكر بن سوادة، عن أبي أمية اللخمي، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنّ من أشراط الساعة أن يلتمس العلم عند الأصاغر»[١٢٤].

➢ -قال [نعيم] قيل لابن المبارك: «من الأصاغر؟ قال: يقولون برأيهم، فأما صغير يروي عن كبير فليس بصغير»[١٢٥].

➢ -قال الشيخ هبة الله اللالكائي رحمه الله «معناه: أنَّ الصغير إذا أخذ بقول رسول الله ﷺ، والصحابة والتابعين فهو كبير، والشيخ الكبير إن أخذ بقول أبي حنيفة[١٢٦] وترك السنن، فهو صغير».

---

[١٢٤] -رواه ابن المبارك في كتابه الزهد، "(٢٧/١) وسنده مرسل.

ورواه الطبراني في "الكبير" (٣٦١/٢٢)، وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (١٣٥/١): "فيه ابن لهيعة وهو ضعيف" وذكره اللالكائي في "شرح اعتقاد أهل السنّة والجماعة" رقم (١٠٢)، (٨٥/١).

وابن عبد البر في "جامع بيان العلم"، (٦١٢/١).

وهو في "صون المنطق" للسيوطي، (ص١٢٥)، "باب كراهية أخذ العلم عن المتكلمين وأصل البدع". وراجع: السلسلة الصحيحة(٦٩٥)، (١٩٤/٣).

[١٢٥] -الزهد، (٢٨/١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إنِّي بليت بأهل الجهل في زمن

قاموا به ورجال العلم قد قعدوا

➢ -وكان إبراهيم الحربي رحمه الله، يقول: «لا يزال النَّاس بخيرٍ ما آتاهم العلم منْ قبلِ كُبرائهم»[١٢٧].

➢ -وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «لا يزال الناس صالحين متماسكين ما أتاهم العلم من أصحاب مُحَمَّد ﷺ ومن أكابرهم، فإذا أتاهم من أصاغرهم، هلكوا»[١٢٨].

➢ -وقال مُحَمَّد بن عبد الوهاب السكري: "كان سفيان إذا رأى هؤلاء النبط يكتبون الحديث تغير وجهه ويشتد عليه، قال فقلت: له يا أبا عبد الله نراك إذا رأيت هؤلاء يكتبون العلم يشتد عليك، قال: فيقول: «كان العلم في العرب وسادة الناس، فإذا خرج من هؤلاء وصار في هؤلاء-يعني النبط والسفل -غيروا الدين»[١٢٩].

---

١٢٦ -أما الحديث عن العبارات التي فيها مقال عن أبي حنيفة فهي طويلة وكثيرة، وتحتاج لإنصاف، وبيان بعلم وترك للتكلف في النقل وتفسير العبارات.

١٢٧ -انظر شرح اعتقاد أصول أهل السنة والجماعة، رقم، (١٠٣)، (١/٨٥)، دار طيبة.

١٢٨ -شرح السنة للبغوي، (١/٣١٧).

١٢٩ -الجامع لأخلاق الراوي، (٢/٣١٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

➢ -وكان من دعاء هرم بن حيان: «اللهم إنِّي أعوذ بك من شرِّ زمانٍ يتمرد فيه صغيرهم، ويأمل فيه كبيرهم، وتقترب فيه آجالهم»[١٣٠].

➢ -قال الآجري رحمه الله: «فإذا مات العلماء تحير النَّاس، ودرس العلم بموتهم، وظهر الجهل، فإنا لله وإنا إليه راجعون، مصيبة ما أعظمها على المسلمين»[١٣١].

➢ -وقال القَرافي: «وأمَّا اليوم فقد انخرق هذا السياج وسهل على الناس أمر دينهم فتحدثوا فيه بما يصلح وبما لا يصلح، وعسر عليهم اعترافهم بجهلهم، وأن يقول أحدهم لا يدري؛ فلا جرم آل الحال للناس إلى هذه الغاية بالاقتداء بالجهال»[١٣٢].

---

[١٣٠] -انظر: "المجالسة وجواهر العلم"، (٢/٢١٥).

[١٣١] - أخلاق العلماء، (ص٢٩).

[١٣٢] -الفروق، (٢/١١٠).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

زوامل.

قال أبو مُحَمَّد الدينوري المعروف بابن قتيبة في "تأويل مختلف الحديث" في معرضِ الحديث عن أهل الكلام: "وهم مع هذا أجهل النَّاسِ بما يحملون، وأبخس النَّاسِ حظًا فيما يطلبون، وقالوا في ذلك:

زَوَامِلُ للأَشْعارِ لا عِلْمَ عِنْدَهُمُ
بِأحكامِها إِلَّا كعِلْمِ الأَباعِرِ
لَعَمْرُكَ ما يَدْرِي البَعِيرُ إِذا غَدَا
بِأَسْفَارِهِ أو رَاحَ ما في الغَرائِرِ

قد قنعوا من العلم برسمه، ومن الحديث باسمه، ورضوا بأنْ يُقال: فلانٌ عارف بالطرق، وراوية للحديث.

وزهدوا في أنْ يقال: عالم بما كتب، أو عامل بما علم.

وقال: وما ظنُّكم برجلٍ منهم، يحمل عنه العلم، وتضرب إليه أعناق المطي خمسين سنة أو نحوها، سُئِل في ملأ من النَّاسِ عن فأرةٍ وقعت في بئرٍ، فقال: "البئر جبار"[١٣٣].

وآخر سُئِل عنْ قولهِ تعالى: ﴿رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ فقال: هو هذا الصرصر، يعني صراصر الليل.

وآخر حدثهم عن سبعة وسبعين، ويريد شعبة وسفيان.

---

[١٣٣] –والجبار بالضم: البريء من الشيء، وقد توهم من هذا الحديث أن الفأرة إذا وقعت في البئر لا تنجسها.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وآخر روى لهم: يستر المصلي مثل آجرة الرجل، يريد: مثل آخرة الرحل"[١٣٤].

✍-وقال ابن رسلان الشافعي (ت٨٤٤هـ) في "شرح سنن أبي داود"، فمن حفظ القرآن ولم يفهمه ولا عمل بما فيه، كان كما قال الشاعر:

زَوَامِلُ للأَشْعارِ لا عِلْمَ عِنْدَهُمُ
بِأحكامِها إِلَّا كعِلْمِ الأَباعِرِ
لَعَمْرُكَ ما يَدْرِي البَعِيرُ إِذا غَدَا
بِأَسْفَارِهِ أو رَاحَ ما في الغَرائِرِ"[١٣٥].

➢-والزوامل: مفردها زاملة، والزاملة البعير، وفي البخاري، عن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ حج على رحل وكانت زاملته"[١٣٦]، قال ابن علان: "الزاملة البعير الذي يحمل عليه الطعام والمتاع، من الزمل وهو الحمل، والمراد: أنَّه لم يكن معه زاملة لحمل طعامه ومتاعه، بل

---

[١٣٤] -تأويل مختلف الحديث، (ص٦٣-٦٤)، ط: دار الحديث. وقد تصحف عليه "الرحل" "بالرجل"، وتصحف عليه "الآخرة" "وبالآجرة"؛ وهي الخشبة التي يستند إليها الراكب من كور البعير..

[١٣٥] -شرح سنن أبي داود، (١١٠/١٨).

[١٣٦] -أخرجه البخاري في كتاب: الحج، باب: الحج على الراحل (٣٠١/٣) .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كان ذلك محمولا معه على راحلته وكانت هي الراحلة والزاملة"[١٣٧].

-وقد يراد به من قرأ حديث ولا يعرف معناه، فإنَّه سأل رجل مطرًا عن تفسير حديث حدث به، فقال: لا أدري، إنما أنا زاملة.

فقال له الرجل: جزاك الله من زاملة خيرًا، فإن عليك من كل حلو وحامض[١٣٨].

قال السمعاني: سمعت أبا القاسم زاهر بن طاهر الشحامي مذاكرة يقول سُئلت بهمذان عن معنى حديث فأمسكت، وقلت: أنا محدث ولست بمفسر"[١٣٩].

[١٣٧] -دليل الفالحين، (٨١/٧)، قال العلامة ابن الأمير في "التحبير لإيضاح معاني التيسير"(٤٩٧/٣): "الزاملة بالزاي: البعير الذي يحمل عليه الطعام والمتاع من الزمل وهو الحمل، والمراد: الإخبار بأنَّه ﷺ لم يكن معه زاملة تحمل طعامه، ومتاعه بل كان ذلك محمولاً معه على راحلته، فكانت هي الزاملة والراحلة".

[١٣٨] -الجامع لأخلاق الراوي، (١١٢/٢)، وفتح المغيث، (٢٧٠/٣).

[١٣٩] -أدب الإملاء، (ص٦٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لئيم.

وهذه صفة معلومة في أهل التعالم في خطابهم وكلامهم، وتعاملهم، وإنكارهم، وتصدرهم.

قال الصنعاني رحمه الله: "لئيم الطلبة وخبيث الحضار عند العالم؛ متتبع العثرات، وكاشف العورات، ودافن الحسنات، وما أكثر هذا النوع -لا كثرهم الله- فإنَّهم الذين أفسدوا معالم العلم، وملأوا المواقف على العلماء أحاديث كاذبة كما صنعه المعري[١٤٠] في الأقدمين حيث عمد إلى نوادر مسائل العلماء فنظمها، كالتطليخ عليهم بقوله:

الشافعي من الأئمة واحد

ولديهم الشطرنج غير حرام

والأبيات السائرة التي يلهج بها من كان متتبعًا لمواضع العلل، وبئس الجزاءُ أن يجازي التلميذ شيوخه بإشاعة هفواتهم وزلاتهم؛ فإنَّه لا بدَّ لكل جواد من كبوة، ولكل صارمٍ من نبوة:

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها

---

[١٤٠] -قال أبو الفرج ابن الجوزي: زنادقة الإسلام ثلاثة: ابن الراوندي، وأبو حيان التوحيدي، وأبو العلاء المعري، وأشدهم على الإسلام أبو حيان، لأنهما صرحا، وهو مجمج ولم يصرح" ينظر: "سير أعلام النبلاء"، (١٧/ ١٢٠)، والسبكي في "الطبقات"، (٥/ ٢٨٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه

فخير الناس من أشاع الخير عن العلماء وأذاعه، ودافع عنهم إن سمع قادحًا فيهم"[١٤١].

[١٤١] –التنوير شرح الجامع الصغير، "(٥٢٨/٩)"

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الطفيلي.

والتطفيل الأصل فيه: أن يأتي الإنسان إلى وليمة لم يدع إليها، وقد بينه الخطيب البغدادي في مقدمة كتابه النفيس "التطفيل وأخبار الطفيليين"، وأنا أورد قصةً لمن هو مدعٍ للعلم وطفيليٌ في نفس الوقت، فهو بفعله شأن العلم، وهان نفسه بسبب حبه لبطنه[١٤٢]، فبانت حاله، وظهرت مقاله للمتأمل في كلامه على أنَّه متعالم؛ لأنَّ العلم سلوك وعمل، وعلم وفهم.

وشاهد القصة يحكيه نصر بن علي أبو عمرو الجهضمي قائلًا: كان لي جار طفيلي، وكان من أحسن الناس منظرًا، وأعذبهم منطقًا، وأطيبهم رائحة، وأجملهم لباسًا؛ فكان من شأنه أنِّي إذا دعيت إلى مدعاة تبعني، فيكرمه النَّاس من أجلي، ويظنُّون أنَّه صاحب لي، فاتفق يومًا أنَّ جعفر بن القاسم الهاشمي أمير البصرة أراد أن يختن بعض أولاده، فقلت في نفسي: كأنِّي برسول الأمير قد جاء، وكأنِّي بهذا الرجل قد تبعني، والله لإنْ تبعني لأفضحنَّه؛ فأنا

---

[١٤٢] -ذكر الإمام ابن الجوزي البغدادي في "الطب الروحاني"، (ص٢٥) ط: مكتبة أهل القرآن. "قال الحارث بن كلدة: الذي قتل البرية، وأهلك السباع في البريَّة، إدخال الطعام على الطعام".

وقال ابن جماعة الحموي في "تذكرة السامع والمتكلم"، (ص٩٠) : "ولم ير أحد من الأولياء والأئمة العلماء يصف أو يوصف بكثرة الأكل ولا حمد به، وإنما يحمد كثرة الأكل من الدواب التي لا تعقل بل هي مرصدة للعمل".

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

على ذلك إذ جاء رسوله يدعوني، فما زدت أن لبست ثيابي وخرجت، وإذا أنا بالطفيلي واقف على باب داره قد سبقني بالتأهب، فتقدمت وتبعني، فلمَّا دخلنا دار الأمير جلسنا ساعة، ودعي بالطعام، وحضرت الموائد، وكان كل جماعة على مائدة لكثرة الناس، فقدمت إلى مائدة والطفيلي معي، فلمَّا مد يده وشرع لتناول الطعام، قلت: أخبرنا درست بن زياد، عن أبان بن طارق، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: "**من دخل دار قوم بغير إذنهم فأكل طعامهم، دخل سارقًا وخرج مغيرًا**" فلمَّا سمع ذلك، قال: أنفت لك والله أبا عمرو من هذا الكلام؛ فإنَّه ما من أحد من الجماعة إلا وهو يظنُّ أنَّك تعرض به دون صاحبه، أو لا تستحي أن تتكلم بهذا الكلام على مائدة سيد من أطعم الطعام، وتبخل بطعام غيرك على من سواك، ثمَّ لا تستحي أن تحدث عن درست بن زياد وهو ضعيف، عن أبان بن طارق وهو متروك الحديث! تحكم برفعه إلى النبي ﷺ والمسلمون على خلافه؛ لأنَّ حكم السارق القطع، وحكم المغير أن يعزر على ما يراه الإمام؛ وأين أنت عن حديث حدثناه أبو عاصم النبيل، عن ابن جريج، عن أبي الزبير، عن جابر، قال: قال رسول الله ﷺ: «طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الأربعة، وطعام الأربعة يكفي الثمانية».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال نصر بن علي: فأفحمني، فلم يحضرني له جواب، فلمَّا خرجنا من الموضع للانصراف فارقني من جانب الطريق إلى الجانب الآخر بعد أن كان يمشي ورائي، وسمعته يقول:

ومن ظنَّ ممَّن يلاقي الحروب

بأن لا يصاب فقد ظنَّ عجزًا[١٤٣].

[١٤٣] -ينظر: التطفيل وحكايات الطفيليين وأخبارهم ونوادر كلامهم وأشعارهم، (ص١٣٨-١٣٩). ت: عسيلان.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الصحفي.[١٤٤]

①-قال أبو هلال العسكري في "تصحيفات المحدثين": «وأمَّا معنى التصحيف وقولهم "صحفي" فقد قال الخليل بن أحمد: الصحفي الذي يروي الخطأ على قراءة الصحف باشتباه الحروف.

وقال غيره: أصل هذا أنَّ قوماً كانوا أخذوا العلم من الصحف من غير أن يلقوا فيه العلماء فكان يقع فيما يروونه التغيير، فيقال: عندها قد صحفوا أي قد رووه عن الصحف، فهو مصحف، ومصدره التصحيف»[١٤٥].

②-وقال بعض الظرفاء في الواحد من هذه الطائفة: «

إِنَّ قَلِيلَ الْمَعْرِفَةِ وَالْمَخْبَرَةْ

يَمْشِي وَمَعَهُ أَوْرَاقٌ وَمَحْبَرَةْ

مَعَهُ أَجْزَاءٌ يَدُورُ بِهَا عَلَى شَيْخٍ وَعَجُوزْ

لَا يَعْرِفُ مَا يَجُوزُ مِمَّا لَا يَجُوزْ

وَمُحَدِّثٌ قَدْ صَارَ غَايَةَ عِلْمِهِ

أَجْزَاءُ يَرْوِيهَا عَنِ الدِّمْيَاطِي

---

[١٤٤]-وليس في التصحيف أحد معصوم إلا من عصمه الله وهم قلة، وقد وقع التصحيف من جماعة من المحدثين الكبار، كما ذكرهم السخاوي في "فتح المغيث".

وانظر: "مجلس سيبويه مع الكسائي وأصحابه بحضرة الرشيد" في كتاب "مجالس العلماء" للزجاجي، (ص٩)، و " مجلس الأصمعي مع المفضل عند عيسى بن جعفر"، (ص١٤).

[١٤٥]-انظر: تصحيفات المحدثين (١/٢٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أسماء أهل التعالم وألقابهم.

وَفُلَانَةُ تَرْوِي حَدِيثًا عَالِيًا
وَفُلَانٌ يَرْوِي ذَاكَ عَنْ أَسْبَاطِ
وَالْفَرْقُ بَيْنَ غَرِيبِهِمْ وَعَزِيزِهِمْ
وَأَفْصَحُ عَنِ الْخَيَّاطِ وَالْحَنَّاطِ
وَابْنُ فُلَانٍ مَا اسْمُهُ وَمَنِ الَّذِي
بَيْنَ الْأَنَامِ مُلَقَّبٌ بِسُنَاطِ
وَعُلُومُ دِينِ اللَّهِ نَادَتْ جَهْرَةً
هَذَا زَمَانٌ فِيهِ طَيُّ بِسَاطِي»[١٤٦].

سبيل النجاة منه.

③-قال سراج الدين الأنصاري: «وأمَّا التصحيف فسبيل السلامة منه، الأخذ من أفواه أهل العلم والضبط»[١٤٧].

*وكذلك مذاكرة أهل الفضل والعلم.

إِذَا لَمْ يُذَاكِرْ ذُو الْعُلُومِ بِعِلْمِهِ
وَلَمْ يَسْتَفِدْ عِلْمًا نَسِيَ مَا تَعَلَّمَا
فَكَمْ جَامِعٍ لِلْكُتُبِ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ
يَزِيدُ مَعَ الْأَيَّامِ فِي جَمْعِهِ عَمَى[١٤٨].

[١٤٦]-تدريب الراوي، (١/٣٧).

[١٤٧]-المقنع في علوم الحديث،(ص٣٧٨).

[١٤٨]-أدب الدنيا، (ص٥٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

زجر السلف للصحفيين.

④-قال عبد الله بن عون: «لا يؤخذ العلم إلا على من شهد له بالطلب»[١٤٩]، وعن مالك نحوه.

⑤-وقيل: "من دخل في العلم وحده؛ خرج وحده"[١٥٠].

⑥-وقال ابن جابر: «لا يؤخذ العلم إلا ممَّن شهد له بالطلب».

⑦-وقال أبو زرعة: فسمعت أبا مسهر يقول: «إلا جليس العالم فإنَّ ذلك طلبه».

⑧-قال الخطيب البغدادي: أراد أبو مسهر بهذا القول أن من عرفت مجالسته للعلماء وأخذه عنهم، أغنى ظهور ذلك من أمره أن يسأل عن حاله، والله أعلم»[١٥١].

ومنه تعلم قول ابن عبد البر: «كل حامل علم معروف العناية به فهو عدل»[١٥٢]، وهذا وإن رده ابن الصلاح وغيره، إلا أنَّه قال به

---

[١٤٩] -رواه ابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل"، (٢٨/٢)، عن الوليد بن مسلم قال: سمعت عبد الرحمن بن يزيد بن جابر من كلامه.

[١٥٠] -ينظر: "الجواهر والدرر" للسخاوي (٥٨/١).

[١٥١] -الكفاية في علم الرواية للخطيب، (ص٨٧).

[١٥٢] -معرفة أنواع علوم الحديث، (ص١٠٥).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جماعة، كـ: إسماعيل القاضي (ت٢٨٢هـ)، والمزي، وابن سيد الناس، والذهبي، وابن حجر، والوزير اليماني، وغيرهم.

⑨-وذكر السمعاني في "القواطع": «أنَّ الصحيح لا يعرف برواية الثقات فقط، وإنَّما يعرف بالفهم والمعرفة، وكثرة السماع والمذاكرة»[١٥٣].

⑩-عن أبي الزناد: «أدركت بالمدينة مائة كلهم مأمون، ما يؤخذ عنهم الحديث، يقال: ليس من أهله»[١٥٤].

①①-وعن ثور بن يزيد، يقول: «لا يفتي الناس الصحفيون».

②①-وقال أبو زرعة: «لا يفتي الناس صحفي، ولا يقرئهم مصحفي»[١٥٥].

③①-عن سليمان بن موسى قال: «كان يقال: لا تأخذوا القرآن من المصحفيين، ولا العلم من الصحفيين»[١٥٦].

④①-وقيل: «من كان شيخه كتابه، فخطؤه أكثر من صوابه».

---

[١٥٣] -تدريب الراوي، (٨٩/١)، ط: العاصمة.

[١٥٤] -مقدمة صحيح مسلم، (١٢/١).

[١٥٥] -انظر: الفقيه والمتفقه، (١٩٣/٢).

[١٥٦] -تصحيفات المحدثين، (٦/١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

⑤①-وقال بعضهم: «من أعظم البلية: تشييخ الصحيفة».

✍-ولله در القائل:

وَمِنْ بُطُونِ كَرَارِيسَ رِوَايَتُهُمْ
لَوْ نَاظَرُوا بَاقِلًا يَوْمًا لَمَا غَلَبُوا
وَالْعِلْمُ إِنْ فَاتَهُ إِسْنَادُ مُسْنِدِهِ
كَالْبَيْتِ لَيْسَ لَهُ سَقْفٌ وَلَا طُنُبُ[١٥٧].

⑥①-وقال ابن رشد: «كان العلم في الصدور، واليوم صار في الثياب»[١٥٨].

✍-وقال الحافظ ابن عساكر الدمشقي:

«ألا إنَّ الحديث أجل علمٍ
وأشرفه الأحاديث العوالي
وأنفع كل نوعٍ منه عندي
وأحسنه الفرائد في الأمالي
وإنَّك لن ترى للعلم شيئاً
يحققه كأفواه الرجال
فكن يا صاح ذا حرصٍ عليه
وخذه عن الرجال بلا ملال

---

[١٥٧] -فتح المغيث للسخاوي، (٣/١٥٢).

[١٥٨] -الخلاصة للمحجي، (١/٢٧٥) بالاستفادة عن التعالم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولا تأخذه من صحفٍ فترمى
من التصحيف بالداء العضال» [١٥٩].

ختامًا: قال الذهبي: «فإنَّ الخط قد يتصحف على الناقل، وقد يمكن أن يزاد في الخط حرف، فيغير المعنى، ونحو ذلك.
وأمَّا اليوم، فقد اتسع الخرق، وقلَّ تحصيل العلم من أفواهِ الرجال، بل ومن الكتب غير المغلوطة، وبعض النقلة للمسائل قد لا يحسن أن يتهجى» [١٦٠].

[١٥٩] –وفيات الأعيان، (٣/٣١٠).

[١٦٠] –سير أعلام النبلاء، (١١/٣٧٧).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الرويبضة.

عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «سيأتي على الناس سنوات خداعات، يصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة" قيل: وما الرويبضة؟ قال: "الرجل التافه في أمر العامة»[(١٦١)]، وانظر شواهد الحديث في الحاشية.

---

[١٦١] –رواه ابن ماجه، في كتاب أبواب الفتن "باب شدة الزمان"، (٤٠٣٦)، وأحمد في مسند أبي هريرة، "(٧٩١٢)"، ورواه أيضًا برقم (٨٤٥٩)، من حديثه، بلفظٍ «قبل الساعة سنون خداعة، يكذب فيها الصادق، ويصدق فيها الكاذب، ويخون فيها الأمين، ويؤتمن فيها الخائن، وينطق فيها الرويبضة " قال سريج: وينظر فيها للرويبضة».

ورواه في مسند أنس، "(١٣٢٩٨)"، " «إن أمام الدجال سنين خداعة، يكذب فيها الصادق، ويصدق فيها الكاذب، ويخون فيها الأمين، ويؤتمن فيها الخائن، ويتكلم فيها الرويبضة ". قيل: وما الرويبضة؟ قال: " الفويسق يتكلم في أمر العامة».

قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (١٢٢٢٦)، في كتاب الفتن "باب في أيام الصبر وفيمن يتمسك بدينه في الفتن"، "رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني في الأوسط، وفيه ابن إسحاق وهو مدلس، وفي إسناد الطبراني ابن لهيعة وهو لين".

وقال ابن كثير في النهاية في الفتن والملاحم، "(٧١/١)" عن إسنادِ أنس، "وهذا إسناد جيد قوي تفرد به أحمد من هذا الوجه".

وقال الحافظ ابن حجر في فتح الباري، "(٨٤/١٣)"، "أخرجه أحمد وأبو يعلى والبزار وسنده جيد ومثله لابن ماجه".

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وعن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ «أن كلبة كانت في بني إسرائيل مجحا، فضاف أهلها ضيف، فقالت: لا أنبح ضيف الليلة، فعوى جروها في بطنها، فأوحي إلى رجل منهم أن مثل هذه الكلبة مثل أمة يأتون من بعدكم، يستعلي سفهاؤها على علمائها»[(١٦٢)].

ورواه البزار في "مسنده"، من حديث عوف بن مالك، "(٢٧٤٠)"، «إنَّ بين يدي الساعة سنين خداعة يصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة»، قيل: يا رسول الله: وما الرويبضة؟، قال: «المرؤ التافه يتكلم في أمر العامة».

[١٦٢] –قال الهيثمي في مجمع الزوائد، "(٨٦٢)"، "رواه الطبراني في الأوسط، وروى أحمد نحوه إلا أن في حديث أحمد: «يقهر سفهاؤها حلماءها». – ويأتي في الفتن، وفيه شعيب بن صفوان، وثقه ابن حبان، وضعفه يحيى. وعطاء بن السائب، وقد اختلط" وهو في مسند أحمد، (٦٥٨٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المجذوب.

-وقيل: «المجذوب: هو من لا شيخ له»[١٦٣].

-قال القاضي عياض رحمه الله في ترجمة «أبي جعفر الداودي الأسدي (المتوفى٤٠٢هجري): "بلغني أنه كان ينكر على معاصريه من علماء القيروان سُكناهم في مملكة بني عُبيد، وبقاءَهم بين أظهرهم، وأنه كتب إليهم مرة بذلك، فأجابوه: اسكت لا شيخ لك! أي: لأن درسه كان وحده، ولم يتفقه في أكثر علمه عند إمام مشهور، وإنما وصل إلى ما وصل بإدراكه، ويُشيرون أنه لو كان له شيخ يفقهه حقيقة الفقه؛ لعلم أن بقاءهم مع مَن هناك من عامة المسلمين تثبيت لهم على الإسلام، وبقية صالحة للإيمان»[١٦٤].

و«الأصل في الطلب أن يكون بطريق التلقين والتلقي عن الأساتيذ، والمثافنة للأشياخ، والأخذ من أفواه الرجال لا من الصحف وبطون الكتب، والأول من باب أخذ النسيب عن النسيب الناطق، وهو المعلم أما الثاني عن الكتاب، فهو جماد، فأنَّى له اتصال النسب؟

---

[١٦٣] -انظر: وفيات الأعيان لابن خلكان، (٢٥٦/٧) في ترجمة "يونس المخارقي" كان رجلاً صالحاً وسألت جماعة من أصحابه عن شيخه من كان فقالوا: لم يكن له شيخ، بل كان مجذوباً.

[١٦٤] -ترتيب المدارك، (٦٢٣/٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

-وقد قيل: «من دخل في العلم وحده؛ خرج وحده»[١٦٥].

أي: من دخل في طلب العلم بلا شيخ؛ خرج منه بلا علم، إذ العلم صنعة، وكل صنعة تحتاج إلى صانع، فلا بد إذاً لتعلمها من معلمها الحاذق.

وهذا يكاد يكون محل إجماع كلمة من أهل العلم؛ إلا من شذ مثل: علي بن رضوان المصري الطبيب (م سنة ٤٥٣هـ) ، وقد رد عليه علماء عصره ومن بعدهم.

-قال الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى في ترجمته له[١٦٦]:«ولم يكن له شيخ، بل اشتغل بالأخذ عن الكتب، وصنف كتاباً في تحصيل الصناعة من الكتب، وأنها أوفق من المعلمين، وهذا غلط» أهـ.

-وقد بسط الصفدي في "الوافي" الرد عليه، وعند الزبيدي في "شرح الإحياء" عن عدد من العلماء معللين له بعدة علل؛ منها ما قاله ابن بطلان في الرد عليه»[١٦٧].

---

[١٦٥] -"الجواهر والدرر" للسخاوي (٥٨/١) .

[١٦٦] -"سير أعلام النبلاء" (١٠٥/١٨)، وانظر: "شرح الإحياء" (٦٦/١)، و"بغية الوعاة" (١٣١/١، ٢٨٦)، و"شذرات الذهب (١١/٥)، و"الغنية" للقاضي عياض (ص١٦-١٧).

[١٦٧] -"شرح الإحياء" (١ / ٦٦) ، نقلًا من حلية طالب العلم، (ص١٥٨-١٥٩).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تحصرم قبل أن يتزبزب.

عبارةٌ قالها الإمام أبو حنيفة النعمان لتلميذه الإمام أبي يوسف القاضي، وحكايتها: «جلس أبو يوسف رحمه الله تعالى للتدريس من غير إعلام أبي حنيفة رحمه الله فأرسل إليه أبو حنيفة رحمه الله رجلًا فسأله عن خمس مسائل:

- **الأولى**: قصار جحد الثوب وجاء به مقصوراً، هل يستحق الأجر أم لا؟ فأجاب أبو يوسف رحمه الله: يستحق الأجر .

فقال له الرجل: أخطأت.

فقال: لا يستحق.

فقال: أخطأت، ثم قال له الرجل: إن كانت القصارة قبل الجحود، استحق، وإلا لا .

- **الثانية**: هل الدخول في الصلاة بالفرض أم بالسنة؟ فقال: بالفرض

فقال: أخطأت.

فقال: بالسنة.

فقال: أخطأت فتحير أبو يوسف رحمه الله .

فقال الرجل: بهما لأن التكبير فرض، ورفع اليدين سنة.

- **الثالثة**: طير سقط في قدر على النار، فيه لحم ومرق؛ هل يؤكل أم لا؟ فقال يؤكل فخطأه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فقال: لا يؤكل فخطأه ثمَّ قال: إن كان اللحم مطبوخا قبل سقوط الطير يغسل ثلاثا ويؤكل وترمى المرقة وإلا يرمى الكل.

➢ **-الرابعة**: مسلم له زوجة ذمية ماتت وهي حامل منه؛ تدفن في أي المقابر؟ فقال أبو يوسف رحمه الله في مقابر المسلمين .

فخطأه، فقال في مقابر أهل الذمة فخطأه، فتحير أبو يوسف فقال: تدفن في مقابر اليهود، ولكن يحول وجهها عن القبلة حتى يكون وجه الولد إلى القبلة لأن الولد في البطن يكون وجهه إلى ظهر أمه.

➢ **-الخامسة**: أم ولد لرجل، تزوجت بغير إذن مولاها فمات المولى، هل تجب العدة من المولى؟

فقال: تجب، فخطأه ثم قال: لا تجب فخطأه ثم قال الرجل: إن كان الزوج دخل بها لا تجب وإلا وجبت.

فعلم أبو يوسف تقصيره فعاد إلى أبي حنيفة رحمه الله فقال : تزببت قبل أن تحصرم»[١٦٨].

وروى الخطيب: "كان أبو يوسف مريضاً شديد المرض فعاده أبو حنيفة مراراً فصار إليه آخر مرة فرآه ثقيلاً فاسترجع، ثمَّ قال: لقد كنت أوأمّلك بعدي للمسلمين، ولئن أصيب الناس بك ليموتنَّ معك علم كثير، ثمَّ رزق العافية، وخرج من العلة؛ فأُخبر أبو يوسف بقول أبي حنيفة فيه فارتفعت نفسه، وانصرفت وجوه الناس إليه؛

---

[١٦٨] -الأشباه والنظائر، (ص٤٢٤-٤٢٥).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فعقد لنفسه مجلساً في الفقه، وقصر عن لزوم مجلس أبي حنيفة، فسأل عنه فأخبر أنَّه قد عقد لنفسه مجلساً، وأنه بلغه كلامك فيه، فدعى رجلاً كان له عنده قدر فقال: صر إلى مجلس يعقوب فقل له: ما تقول في رجل دفع إلى قصار ثوباً ليقصره بدرهم، فصار إليه بعد أيام في طلب الثوب، فقال له القصار: مالك عندي شيء وأنكره، ثمَّ إن رب الثوب رجع إليه فدفع إليه الثوب مقصوراً، ألـه أجرة؟ فإن قال: له أجرة فقل: أخطأت، وإن قال: لا أجرة له فقل: أخطأت، فصار إليه فسأله، فقال أبو يوسف: فله الأجرة؟

فقال: أخطأت، فنظر ساعة ثم قال: لا أجرة له

فقال: أخطأت؟

فقام أبو يوسف من ساعته فأتى أبا حنيفة، فقال له: ما جاء بك إلا مسألة القصار؟

قال أجل.

قال: سبحان الله من قعد يفتي الناس، وعقد مجلساً يتكلم في دين الله، وهذا قدره لا يحسن أن يجيب في مسألة من الإيجارات.

فقال: يا أبا حنيفة علمني.

فقال: إن كان قصره بعدما غصبه فلا أجرة؛ لإنه قصره لنفسه.

وإن كان قصره قبل أن يغصبه فله الأجرة؛ لأنه قصره لصاحبه، ثمَّ قال: من ظنَّ أنه يستغني عن التعلم فليبكِ على نفسه"[١٦٩].

---

[١٦٩] -الفقيه والمتفقه، (٢/٧٨-٧٩).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

-**ومن جميل ما حكي من حال هؤلاء**، ما قاله فضيلة الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله: «فكم رأينا نزالاً في حلائب العلم، من رائم للبروز قبل أن ينضج، فراش قبل أن يبري، وتزبب قبل أن يتحصرم، وقد قيل: "البداية مزلة". وقيل: من البليَّة تشيُّخ الصَّحفيَّة»[١٧٠].

[١٧٠] -التعالم، (ص٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الغنادرة.

جمع غندر: وهو المشاغب، المتطاول بلسانه، الوارث لما لا يورث؛ من التسلط على العباد بداء الفحشِ والبذاءِ، المحروم من ميراث الأنبياء في عفة اللسان، وصيانته من الخنا.

يمارس نفسا بين جنبيه كزةً

إذا همَّ بالمعروف قالت له: مهلًا[١٧١].

لست بشيء ولا تحسن شيئًا.

عبارة تقال لمن يدعي شيئًا وهو لا يحسنه؛ وهذه الصفة من نعوت التعالم المذموم، وفي ذلك قصة ذكرها الخطيب في "كفايته"، عن أحمد بن علي الأبار، قال: «رأيت بالأهواز رجلاً قد حف شاربه، وأظنُّه قد اشترى كتبًا وتعبأ للفتيا، فذكروا أصحاب الحديث، فقال: ليسوا بشيء، وليس يسوون شيئاً، فقلت له: أنت لا تحسن تصلي.

قال: أنا؟

قلت: نعم.

قلت: إيش تحفظ عن رسول الله ﷺ إذا افتتحت الصلاة ورفعت يديك؟ فسكت.

فقلت: فأيش تحفظ عن رسول الله ﷺ إذا وضعت يديك على ركبتيك؟ فسكت.

قلت: إيش تحفظ عن رسول الله ﷺ إذا سجدت؟ فسكت!

---

[١٧١] –انظر: التعالم، (ص٩١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قلت: ما لك لا تتكلم؟ ألم أقل لك: إنَّك لا تحسن تصلي؟ أنت إنَّما قيل لك: تصلى الغداة ركعتين، والظهر أربعًا، فالزم ذا خير لك من أن تذكر أصحاب الحديث، فلست بشيءٍ ولا تحسن شيئاً»[(١٧٢)].

-وروى في "شرف أصحاب الحديث" بسنده عن عبد الله بن الحسن الهسنجاني، قال: "كنت بمصر، فرأيت قاضيا لهم في المسجد الجامع، وأنا ممراض. فسمعت القاضي يقول مساكين أصحاب الحديث لا يحسنون الفقه. فحبوت إليه، فقلت: اختلف أصحاب النبي ﷺ في جراحات الرجال والنساء، فأي شيء قال علي بن أبي طالب، وأي شيءٍ قال زيد بن ثابت؟ وأي شيءٍ قال عبد الله بن مسعود؟ فأفحم.

قال عبد الله: فقلت له: زعمت أنَّ أصحاب الحديث لا يحسنون الفقه، وأنا من أخس أصحاب الحديث، سألتك عن هذه فلم تحسنها، فكيف تنكر على قوم أنهم لا يحسنون شيئا وأنت لا تحسنه؟"[(١٧٣)].

---

[١٧٢] -الكفاية للخطيب البغدادي، (ص١٢-١٣).

[١٧٣] -انظر: شرف أصحاب الحديث، (ص٧٧)، ط: دار إحياء السنة النبوية و (ص١٠١)، ط: البصيرة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المائق.

والمائق من صفات الجاهل المتعالم، كما ذكر ابن حبان في "روضة العقلاء" قائلًا: «وكذلك الجاهل يقال له في أول درجته: المائق، ثمَّ الرقيع، ثمَّ الأنوك، ثمَّ الأحمق»[١٧٤]، ويقال له: «الحندقوق»، وهو للمضطربِ شبه المجنون، ويقال أيضًا: شِبه الأحمق[١٧٥].

✍-وقال عيينة بن المهلبي: «كان يقال: لا يتصدر إلا فائق أو مائق»[١٧٦].

✍-وعن النضر بن شميل قال: سمعت الخليل بن أحمد يقول: «الرجال أربعة:

- رجل يدري ويدري أنه يدري، فذلك عالم فاتبعوه وسلوه.
- ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري فذلك جاهل فعلموه.
- ورجل يدري ولا يدري أنه يدري فذلك عاقل فنبهوه.
- ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فذلك مائق فاحذروه»[١٧٧]

---

[١٧٤] -روضة العقلاء، (ص١٧) ط: دار القاسم.

[١٧٥] -انظر: تاج العروس، (٢٥/٢٠٧)، والرهص والوهص، (ص٨).

[١٧٦] -الجامع لأخلاق الراوي، (١/١٧٦).

[١٧٧] -جامع بيان العلم، "(١٥٣٨)، وانظر: وصية وكلام نافع لابن المبارك، مع شرح نفيس لابن القيم عليها، كما في "مفتاح دار السعادة"، "(١/٢٠٠-٢٠١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

-وهذا يسمَّى عند الأصوليين "بالجهل المركب"[١٧٨]، عن سهل رحمه الله تعالى قال: «ما عصى الله تعالى بمعصية أعظم من الجهل!

قيل يا أبا مُحَمَّد: هل تعرف شيئاً أشد من الجهل؟

قال: نعم الجهل بالجهل.

قال أبو حامد الغزالي معلقًا: «وهو كما قال؛ لأنَّ الجهل بالجهل يسد بالكلية باب التعلم، فمن يظن بالكلية بنفسه أنَّه عالم فكيف يتعلم»[١٧٩].

قال الخطيب: أنشدني أبو يعلى بن الفراء، أنشدنا عيسى بن علي لنفسه:

رُبَّ مَيْتٍ قَدْ صَارَ بِالعِلْمِ حَيّاً
وَمُبَقَّى قَدْ حَازَ جَهْلاً وَغَيّا
فَاقْتَنُوا العِلْمَ كِي تَنَالُوا خُلُوْداً
لاَ تَعُدُّو الحَيَاةَ فِي الجَهْلِ شَيّا[١٨٠].

ورحم الله ابن القيم إذ يقول:

---

[١٧٨] -انظر: شرح الورقات لابن فركاح، (ت٦٩٠هـ) (ص٢٢-٢٣)، وشرح الورقات للمحلي، (ص١٤٩)، كلاهما ط: دار الكتب العلمية

[١٧٩] -الإحياء، (٣٦٩/٤).

[١٨٠] -ينظر: سير أعلام النبلاء، (٥٥٠/١٦)، وتاريخ بغداد، (١٧٩/١١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وتعر من ثَوْبَيْنِ من يَلْبسهُمَا

يلقى الردى بمذمة وهوان

ثوب من الْجَهْل الْمركب فَوْقه

ثوب التعصب بئست الثوبان

وَتحل بالإنصاف أَفْخَر حلَّة

زينت بهَا الاعطاف والكتفان

وَاجعَل شعارك خشيَة الرَّحْمَن مَعَ

نصح الرَّسُول فحبذ الامران[١٨١] .

[١٨١] –انظر: "الكافية الشافية" مع توضيحِ مقاصدها، للشيخ أحمد بن إبراهيم بن حمد بن محمَّد بن حمد بن عبد الله بن عيسى (المتوفى: ١٣٢٧هـ)، (١/١٢٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أنوك[١٨٢].

عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة زوج النبي ﷺ [رضي الله عنها وعن أبيها] أنها قالت: «قدمت امرأة علي من أهل دومة الجندل، جاءت تبتغي رسول الله ﷺ بعد موته حداثة ذلك، تسأله عن شيء دخلت فيه من أمر السحر، ولم تعمل به. قالت عائشة رضي الله عنها، لعروة: يا ابن أختي، فرأيتها تبكي حين لم تجد رسول الله ﷺ فيشفيها كانت تبكي حتى إني لأرحمها، وتقول: إني أخاف أن أكون قد هلكت. كان لي زوج فغاب عني، فدخلت على عجوز فشكوت ذلك إليها، فقالت: إن فعلت ما آمرك به فأجعله يأتيك. فلما كان الليل جاءتني بكلبين أسودين، فركبت أحدهما وركبت الآخر، فلم يكن كشيء حتى وقفنا ببابل، وإذا برجلين معلقين بأرجلهما.

فقالا ما جاء بك؟

فقلت: أتعلم السحر.

فقالا: إنَّما نحن فتنة فلا تكفري، فارجعي. فأبيت وقلت: لا.

قالا: فاذهبي إلى ذلك التنور، فبولي فيه. فذهبت ففزعت ولم أفعل، فرجعت إليهما، فقالا أفعلت؟

فقلت: نعم.

فقالا هل رأيت شيئًا؟

فقلت: لم أر شيئًا.

---

[١٨٢] –انظر: البيان والتبين"، " باب النّوكى"، (٣/١٥٥)، فإنه مفهم ومفيد.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فقالا لم تفعلي، ارجعي إلى بلادك ولا تكفري [فإنك على رأس أمري]. فأربيت وأبيت.

فقالا اذهبي إلى ذلك التنور فبولي فيه. فذهبت فاقشعررت [وخفت] ثم رجعت إليهما فقلت: قد فعلت.

فقالا فما رأيت؟

فقلت: لم أر شيئًا.

فقالا كذبت، لم تفعلي، ارجعي إلى بلادك ولا تكفري؛ فإنك على رأس أمرك. فأربيت وأبيت.

فقالا: اذهبي إلى ذلك التنور، فبولي فيه. فذهبت إليه فبلت فيه، فرأيت فارسا مقنعا بحديد خرج مني، فذهب في السماء وغاب [عني] حتى ما أراه، فجئتهما فقلت: قد فعلت.

فقالا فما رأيت؟

قلت: رأيت فارسًا مقنعًا خرج مني فذهب في السماء، حتى ما أراه.

فقالا: صدقت، ذلك إيمانك خرج منك، اذهبي.

فقلت للمرأة: والله ما أعلم شيئا وما قالا لي شيئا.

فقالت: بلى، لم تريدي شيئا إلا كان، خذي هذا القمح فابذري، فبذرت، وقلت: أطلعي فأطلعت وقلت: أحقلي فأحقلت ثمَّ قلت: أفركي فأفركت. ثمَّ قلت: أيبسي فأيبست. ثمَّ قلت: أطحني فأطحنت. ثم قلت: أخبزي فأخبزت . فلما رأيت أنِّي لا أريد شيئًا إلا كان، سقط في يدي وندمت -والله-يا أم المؤمنين والله ما فعلت شيئا قط ولا أفعله أبدا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ورواه ابن أبي حاتم عن الربيع بن سليمان، به مطولا كما تقدم، وزاد بعد قولها: ولا أفعله أبدا".

فسألت أصحاب رسول الله ﷺ حداثة وفاة رسول الله ﷺ، وهم يومئذ متوافرون، فما دروا ما يقولون لها، وكلهم هاب وخاف أن يفتيها بما لا يعلمه، إلا أنه قد قال لها ابن عباس -أو بعض من كان عنده-: لو كان أبواك حيين أو أحدهما [لكان يكفيانك]

قال هشام: فلو جاءتنا أفتيناها بالضمان قال: قال ابن أبي الزناد: وكان هشام يقول: إنهم كانوا أهل الورع والخشية من الله. ثم يقول هشام: **لو جاءتنا مثلها اليوم لوجدت نوكى أهل حمق وتكلف بغير علم**»[(١٨٣)].

وهذه القصة مع أنَّ سندها جيد، إلا أن في متنها غرابة والله أعلم، والشاهد قول هشام: "لوجدت نوكى أهل حمق وتكلف بغير علم"، وهذه علامة التعالم، نعوذ بالله منه.

[١٨٣] -رواه ابن كثير في "تفسيره"، (١/٣٦١)، وقال: "فهذا إسناد جيد إلى عائشة، رضي الله عنها".

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

البطال.

وذكر ابن الجوزي، «قال سري: فقلت له ما أبكى العابد؟ قال: ما لي لا أبكي، وقد توعرت الطريق، وقلَّ السالكون فيها، وهجرت الأعمال، وقلَّ الراغبون فيها، وقل الحق، ودُرِس هذا الأمر؛ فلا أراه إلا في **لسانِ كل بطَّالٍ**، ينطق بالحكمة، ويفارق الأعمال، قد افترش الرخصة» (١٨٤).

-ذكر الخطابي في "العزلة"، بسندهِ عن علي بن يحيى الوراق: " كان الشافعي رحمة الله عليه رجلًا عطرًا وكان يجيء غلامه كل غداة بغالية فيمسح بها الإسطوانة التي يجلس إليها، وكان إلى جنبه إنسان من الصوفية وكان يسمَّي الشافعي البطال يقول: هذا البطال، وهذا البطال.

قال: فلمَّا كان ذات يوم عمد إلى شاربه فوضع فيه قذرًا ثمَّ جاء إلى حلقة الشافعي، فلمَّا شم الشافعي الرائحة أنكرها، وقال: فتشوا نعالكم فقالوا: ما نرى شيئًا يا أبا عبد الله.

قال: : فليفتش بعضكم بعضًا، فوجدوا ذلك الرجل فقالوا: يا أبا عبد الله هذا.

فقال له: ما حملك على هذا؟

قال: رأيت تجبرك فأردت أن أتواضع لله عز وجل!

---

١٨٤ -صفة الصفوة، (٣٥٩/٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال: خذوه فاذهبوا به إلى عبد الواحد، وكان على الشرطة، فقولوا له: قال لك أبو عبد الله اعتقل هذا إلى وقت ننصرف.

قال: فلما خرج الشافعي دخل إليه فدعا به فضربه ثلاثين درة أو أربعين درة، قال: هذا إنَّما تخطيت المسجد بالقذرة وصليت على غير الطهارة"[١٨٥].

وأحق الناس بهذا اللقب، -أعني البطال-، هو هذا الجاهل الأفاك المتعالم الجهول، الذي سولت نفسه ففعل ما فعل.

[١٨٥]-العزلة، "باب في آفات القراء" (ص٢٢٣) ط: دار ابن كثير.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أحمق.

قال الحافظ ابن رجب في رسالة "الرد على من اتبع غير المذاهب الأربعة" : "فاقتضت حكمة الله سبحانه أن ضبط الدين وحفظه: بأن نصب للناس أئمة مجتمعاً على علمهم ودرايتهم وبلوغهم الغاية المقصودة في مرتبة العلم بالأحكام والفتوى، من أهل الرأي والحديث.

فصار الناس كلهم يعولون في الفتاوى عليهم، ويرجعون في معرفة الأحكام إليهم وأقام الله من يضبط مذاهبهم ويحرر قواعدهم ، حتى ضبط مذهب كل إمام منهم وأصوله وقواعده وفصوله، حتى ترد إلى ذلك الأحكام ويضبط الكلام في مسائل الحلال والحرام .

وكان ذلك من لطف الله بعباده المؤمنين، ومن جملة عوائده الحسنة في حفظ هذا الدين .

ولولا ذلك : لرأى الناس العجاب، **من كل أحمق متكلف معجبٍ برأيه جريء على الناس وثاب.**

فيدعي هذا أنَّه الأمام الأئمة، ويدعي هذا أنه هادي الأمة، وأنه هو الذي ينبغي الرجوع دون الناس إليه والتعويل دون الخلق عليه .

ولكن بحمد الله ومنته انسد هذا الباب الذي خطره عظيم وأمره جسيم، وامسخت هذه المفاسد العظيمة، وكان ذلك من لطف الله تعالى لعباده، وجميل عوائده وعواطفه الحميمة. ومع هذا فلم يزل يظهر من يدعي بلوغ درجة الاجتهاد، ويتكلم في العلم من غير تقليدٍ لأحد من هؤلاء الأئمة ولا انقياد .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فمنهم: من يسوغ له ذلك لظهور صدقة فيما ادعاه.

ومنهم: من رد عليه قوله وكذب في دعواه.

وأما سائر الناس ممن لم يصل إلى هذه الدرجة فلا يسعه إلا تقليد أولئك الأئمة، والدخول فيما دخل فيه سائر الأمة. **فإن قال أحمق متكلف**: كيف يحصر الناس في أقوال علماء متعينين ويمنع من الاجتهاد أو من تقليد غير أولئك من أئمة الدين.

قيل له: كما جمع الصحابة- رضي الله عنهم - الناس من القراءة بغيره في سائر البلدان؛ لما رأوا أن المصلحة لا تتم إلا بذلك، وأن الناس إذا تركوا يقرؤون على حروف شتى وقعوا في أعظم المهالك.

فكذلك مسائل الأحكام وفتاوى الحلال والحرام، لو لم تضبط الناس فيها بأقوال أئمة معدودين: لأدى ذلك إلى فساد الدين، **وأن يعد كل أحمق متكلف طلبت الرياسة نفسه من زمرة المجتهدين وأن يبتدع مقالة ينسبها إلى بعض من سلف من المتقدمين**؛ فربما كان بتحريف يحرفه عليهم كما وقع ذلك كثيراً من بعض الظاهريين، وربما كانت تلك المقالة زلة من بعض من سلف قد اجتمع على تركها جماعة من المسلمين. فلا تقضي المصلحة غير ما قدره الله وقضاه من جمع الناس على مذاهب هؤلاء الأئمة المشهورين رضي الله عنهم أجمعين[١٨٦].

---

[١٨٦] -انظر: في مجموع رسائله، (١/٤٦٧-٤٦٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المتشبع بما لم يعط.

وفيه حديث نبوي صحيح صريح، وقد أسقطه أهل الحديث على أهل التدليس.

- قال السيوطي: «المتشبع بما لم يعط أي المتكثر بما ليس عنده عند الناس المتزين بالباطل كلابس ثوبي زور، أي: كمن لبس ثوبين لغيره وأوهم أنهما له.

- قيل: وكان في الجاهلية إذا طلب من رجل شهادة زور استعار ثوبين يتجمل بهما فلا ترد شهادته لحسن هيئته» [١٨٧].

- وقال أبو عبيد: «وأما قوله: كلابس ثوبي زور، فإنَّه عندنا الرجل يلبس الثياب تشبه ثياب أهل الزهد في الدنيا يريد بذلك الناس، ويظهر من التخشع والتقشف أكثر مما في قلبه منه، فهذه ثياب الزور والرياء وفيه وجه آخر إن شئت أن يكون أراد بالثياب الأنفس والعرب تفعل ذلك كثيرا» [١٨٨].

- قال حماد بن زيد: التدليس كذب، ثمَّ ذكر حديث النبي ﷺ "المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور".

---

[١٨٧] –الديباج، (٢٥/٥).

[١٨٨] –غريب الحديث، (٣٥٢/٢)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

➢ –قال حماد: «ولا أعلم المدلس الا متشبعًا بما لم يعط»[١٨٩].

➢ –وقال أبو عاصم النبيل: «أقل حالات المدلس عندي أنه يدخل في حديث النبي ﷺ "المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور»[١٩٠].

ويدخل فيه الجانب العلمي: من استعار كتابًا ولم يرده[١٩١]، وأيضًا من يسرق جهود الغير من تحقيقات وتأليف ثم ينسبها له زورًا وبهتاناً.

❁❁❁

[١٨٩] –الكفاية للخطيب، (ص٣٨٣)، وجامع التحصيل في المراسيل، (ص٩٧).

[١٩٠] –النكت على مقدمة ابن الصلاح، (٢/٨٢)، وتوضيح الأفكار، (١/٣٧١).

[١٩١] –ينظر: كتابي "أدب إعارة الكتاب واستعارته".

www.alukah.net
شبكة الألوكة

السارق.

ومنه نعتهم إياه بالسارق، وقد فعل ذلك السيوطي في كتاب له سمَّاه "البارق في قطع يد السارق"، والسرقة قد تكون في الحديث، ولهذا تجد كثرة المصنفات حول ذلك، "كالمجروحين" لابن حبان، و "الضعفاء" للعقيلي، و"ميزان الاعتدال" للذهبي، وغيرهم كثير.

والسرقة في التصانيف والتأليف، والسرقة في الشعر، وغيرها.

⇐ –ولهذا تواردت نصوص العلماء سلفا وخلفًا في التحذير من هذه الظاهرة، وهي الغارة على الكتب ونسخها بلا عزو أو بيان[١٩٢].

❶ –قال ابن جماعة : "وصح عن سفيان الثوري رحمه الله، أنَّه قال: إنَّ نسبة الفائدة إلى مفيدها من الصدق في العلم وشكره، وأنَّ السكوت عن ذلك من الكذب في العلم وكفره"[١٩٣].

❷ –وقال أبو عبيد القاسم بن سلَّام: "إنَّ من شكر العلم أن تقعد مع قوم فيذكرون شيئًا ولا تحسنه فتتعلمه منهم، ثم تقعد بعد ذلك في موضع آخر فيذكرون ذلك الشيء الذي تعلمته فتقول: والله ما

---

١٩٢ –انظر: كتابي "أدب إعارة الكتاب واستعارته" وقد ضمنته شيئًا من هذا.

١٩٣ –هداية السالك إلى المذاهب الأربعة في المناسك، (٣/١)، وانظر: مقدمة كتاب "البارق في قطع السارق" للسيوطي (ص٢٧).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كان عندي في هذا شيء حتى سمعت فلانًا يقول: كذا وكذا فتعلمته فإذا فعلت ذلك فقد شكرت العلم"[١٩٤]

3-وعن حافظ المغرب ابن عبد البر رحمه الله: "يقال إن من بركة العلم أن تضيف الشيء إلى قائله"[١٩٥].

4-وقال شيخ الإسلام طيب الله ثراه، في "منهاج السنة": "فمن أراد أن ينقل مقالة عن طائفة: فليسم القائل والناقل، وإلا فكل أحد يقدر على الكذب"[١٩٦].

5-قال أيوب بن المتوكل: كان الخليل -الفراهيدي- إذا أفاد إنسانا شيئًا، لم يره بأنَّه أفاده، وإنْ استفاد من أحد شيئًا، أراه بأنَّه استفاد منه.

علق الذهبي على هذا الخلق التربوي العلمي العظيم، فقال: "صار طوائف في زماننا بالعكس"[١٩٧].

---

[١٩٤] -ينظر: "المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي"، (ص٣٩٦).

١٩٥ -جامع بيان العلم، (٢/٩٢٢).

١٩٦ -(٢/٥١٨)، ط: جامعة الإمام.

[١٩٧] -السير، (٧/٤٣١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقد أبان الشيخ مُحَمَّد رشيد رضا خطر هذا الفعل، فقال: «وفي سرقة الكلام عدة ذنوب:

أحدها: التعدي على حقوق الناس وانتحالها لنفسه، وهو المراد بتسميتها سرقة.

وثانيها: الخيانة في العلم وهو لا ينجح إلا بالأمانة، وهي نسبة كل قول إلى قائله وكل رأي إلى صاحبه.

وثالثها: الكذب وهو ظاهر.

ورابعها: التبجح والافتخار بالباطل.

خامسها: الغش فإنَّ من الناس من إذا علم أن هذا القول لفلان يأخذ به ويقلده؛ لأن التقليد مبني على الثقة، فإذا نسب القول إلى غير صاحبه يتركه من لو علم صاحبه لأخذ به وانتفع لثقته به دون من نسب إليه، ويأخذ به من يثق بالمنتحل على أنَّه له وما هو له.

سادسها: الجناية على التاريخ الذي يبين مراتب الناس وأقدارهم في العلم .

ولا شك أنَّ المحدثين يعتبرون هؤلاء المنتحلين من الوضاع الكاذبين حتى لا يثقون برواية لهم وكذلك يجب.

كما تكون هذه الجريمة عن عمد تقع في بعض الأحايين سهوًا، وإذا كان السهو في كتاب وطبع يصعب تداركه وتلافيه، وإلحاق القول

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بقائله والرأي بمرتئيه؛ ولكن التدارك يسهل في الجرائد بأن يصرح أصحابها في الجزء التالي ببيان ما سهوا عنه في المقدم»[(١٩٨)].

[١٩٨]-انظر: مقالات وفتاوى حديثية من مجلة المنار، "واجب الصحافة ومفاسد الانتحال" (ص٢١-٢٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

التنمر بالعلم.

والمتنمر بالعلم: هو المدعي له وليس فيه شيء منه، المكاثر به على سبيل العجب، المتزين بما ليس عنده، وقد كان السلف على خلاف ذلك؛ فهم يوزنون الكلام بميزان الحكمة قبل النطق به، ويدركونه أبعاد قبل التفوه فيه، وسيأتيك نموذجًا منهم[١٩٩]، ولهذا كره الإمام مالك رحمه الله كثرة الكلام، وكان يعيب كثرة الفتيا، ويقول: «يتكلم أحدهم كأنَّه جمل مغتلم، يقول: هو كذا هو كذا، يهدر في كلامه»[٢٠٠].

قال الشيخ بكر ناصحًا طلاب العلم وأهله: «احذر ما يتسلى به المفلسون من العلم، يراجع مسألة أو مسألتين، فإذا كان في مجلس فيه من يشار إليه، أثار البحث فيهما، ليظهر علمه! وكم في هذا من سوءة، أقلها أن يعلم أنَّ النَّاس يعلمون حقيقته»[٢٠١].

---

[١٩٩] –ولو خشية الإملال، وإثقال حواشي الكتاب، لذكرت في ذلك أقوالًا مهمة للسلف فيه.

[٢٠٠] –فضل علم السلف، (ص٥٩)، ط: البشائر.

[٢٠١] –حلية طالب العلم، (ص١٩٨)، ولو كان حافظًا للمسألة وغابت عن باله ثمَّ استحضرها لكن الأمر أخف، ومن أمثلة هذا: ما نراه اليوم من التنمر الموجود في وسائل التواصل، وبعض المجموعات من النقاشات التي تحصل، فترى بعضهم ناسخًا لاصقًا من مواقع الأنترنت، ثمَّ يناقش ويجادل بسوء أدب وقلة علم وتنمر واضح، ولو قيل له تكلم بما في جعبتك، وبما يحويه رأسك، لسكن ولجم، فرحم الله عبدًا عرف قدر نفسه، فوقف عند ذلك ولم يتعداه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

-وهاك المثال، بما يذكر عن الإمام المازري أنَّه سئل سؤال فأجاب بقوله: «ولست ممَّن يحمل النَّاس على غير المعروف المشهور من مذهب مالك وأصحابه؛ لأنَّ الورع قلَّ، بل كاد يُعدم، والتحفظ على الديانات كذلك، وكثرت الشهوات، وكثر من يدعي العلم ويتجاسرُ على الفتوى فيه، فلو فتح لهم باب في مخالفة المذهب؛ لاتسع الخرق على الراقع، وهتكوا حجاب هيبة المذهب، وهذا من المفسدات التي لا خفاء بها».

قال الشاطبي معلقًا: "فانظر كيف لم يستجز -وهو المتفق على إمامته- الفتوى بغير مشهور المذهب، ولا بغير ما يعرف منه بناء على قاعدة مصلحية ضرورية؛ إذ قل الورع والديانة من كثير ممن ينتصب لبث العلم والفتوى كما تقدم تمثيله؟ فلو فتح لهم هذا الباب لانحلت عرى المذهب، بل جميع المذاهب"[٢٠٢].

[٢٠٢]-الموافقات، (٥/١٠٠-١٠١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سفهاء الأحلام.

وهو نعت نبوي لمن تقفر العلم، وقرأ القرأن ولم يفهم معناه، ويستفد منه إفادة تنفع وتنجي، وهذا شأن المتبجحة من أهل البدع، وأصنافهم من أهل التعالم.

-عن علي ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول: "سيخرج في أخر الزمان قوم أحداث الأسنان، **سفهاء الأحلام** يقولون: من خير قول البرية، **يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم**، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فإذا لقيتموه فاقتلوهم فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة"(٢٠٣).

-وروى ابن حبان في "صحيحه"، عن حذيفة ﷺ قال: قلت يا رسول الله هل بعد هذا الخير الذي نحن فيه من شر نحذره؟
قال: "يا حذيفة عليك بكتاب الله فتعلمه، واتبع ما فيه خيراً لك"(٢٠٤)

وهذا الحديث فيه وصيَّة قيمة من النَّبي ﷺ إلى أمين السر حذيفة ﷺ، يدعوه فيه إلى التمسك بكتاب الله، وفهم معانيه وتطبيق أحكامه، فبه النَّجاة والعصمة، وهو من جوامع الكلم، ومن خير الوصايا التي ينبغي للعبد أن يلجأ إليه في زمن الشبهات،

٢٠٣- صحيح مسلم، (١٠٦٦).

٢٠٤-(١١٧).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فكتاب الله نور في زمان الظلم، وبركة في زمن الخسران، ولهذا قال الإمام ابن حبان في "**صحيحه**": "ذكر الإخبار عما يجب على المرء من تعلم كتاب الله جل وعلا، واتباع ما فيه عند وقوع الفتن خاصة" ثم ساق الحديث.

وقد أمر النبيُّ ﷺ حذيفةَ رضي الله عنه، فيه بأمرين:

الأول: التعلم وهو فهم معاني القرآن، وذلك يكون بالتفسير والبيان، والتدبر لآيِ القرآن [٢٠٥].

والثاني: العمل بما فيه من أحكام شرعية، فهي عصمة ونجاة بإذن الله.

والفائدة في الأمرين: النجاة من زيغ المبتدعة، فالخوارج يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، والقدرية يتقفرون العلم، لم يلجئوا إلى ركن وثيق.

ولهذا قال الله تعالى، ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [آل عمران:٥٩]"[٢٠٦].

---

[٢٠٥] –عد الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ) في "بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز"، (٢/٤٢١-٤٢٢) الأسباب الجالبة لمحبة الله عشرة، وقال الأول: "قراءة القرآن بالتدبر، والتفهم لمعانيه، والتفطُّنِ لمراد الله منه....".

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المكذلكة.

وكثير منهم نصيبهم مثل [ما حكاه أبو مُحَمَّد بن حزم][٢٠٧]، قال: كان عندنا مفت قليل البضاعة، فكان لا يفتي حتى يتقدمه من يكتب الجواب فيكتب تحته: جوابي مثل جواب الشيخ، فقدر أن اختلف مفتيان في جواب، فكتب تحتهما: جوابي مثل جواب الشيخين، فقيل له: إنهما قد تناقضا، فقال: وأنا أيضاً تناقضت كما تناقضا!!!

قال الإمام ابن القيم: "وقد أقام الله -سبحانه -لكل عالم ورئيس وفاضل من يظهر مماثلته، ويرى الجهال وهم الأكثرون مساجلته ومشاكلته، وأنه يجري معه في الميدان، وأنهما عند المسابقة كفرسي رهان، ولا سيما إذا طول الأردان، وأرخى الذوائب الطويلة وراءه كذنب الأتان، وهدر باللسان، وخلا له الميدان الطويل من الفرسان.

فلو لبس الحمار ثياب خز
لقال النَّاسُ: يا لك من حمار!

---

٢٠٦ -شرحي لكتاب "الأربعين التدبرية في مراتب أخذ القرآن"، (ص٩٣-٩٤)، ط: مركز تدبر.

٢٠٧ -الإحكام، (٦/٧٧).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهذا الضرب إنَّما يستفتون بالشكل لا بالفضل، وبالمناصب لا بالأهليَّة، قد غرهم عكوف من لا علم عنده عليهم، ومسارعة من أجهل منهم إليهم، تعج منهم الحقوق إلى الله -تعالى- عجيجاً، وتضج منهم الأحكام إلى من أنزلها ضجيجاً.

يمدون للإفتاء باعا قصيرة

وأكثرهم عند الفتاوى يكذلك

فمن أقدم بالجرأة على ما ليس له بأهل من فتيا أو قضاء أو تدريس، استحق اسم الذم، ولم يحل قبول فتياه ولا قضائه، هذا حكم دين الإسلام.

وإن رغمت أنوف من أناس

فقل: يا رب! لا ترغم سواها"[٢٠٨].

٢٠٨-إعلام الموقعين، (٤/١٥٩-١٦٠)، بتصرف يسير.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سفيه.

والسفيه من لا يحسن التصرف، ومن فيه خفة وطيش، وضابط السفه أن يأتي من الأفعال والأقوال ما يشان في المروءة ويقدح بالعدالة.

وقد ورد لفظ السفيه بهذا الخصوص -التعالم-، واذكر منه ثلاثة نماذج من كلام أهل العلم، وهي:

❶ -**الأول**: قول الحسن: «تعلموا ما شئتم أن تعلموا، فلن يجازيكم الله على العلم حتى تعملوا، فإنَّ السفهاء همتهم الرواية، وإنَّ العلماء همتهم الرعاية»[٢٠٩].

❷ -**الثاني**: قول الإمام مالك بن أنس: «لا تأخذ العلم من أربعة، وخذه مما سوى ذلك: من معلن للسفلة وإن كان أروى الناس، ولا من كذاب يكذب في حديث الناس، وإن كان لا تتهمه بكذب

---

٢٠٩ -الجامع لأخلاق الراوي، (٩١/١)، واقتضاء العلم العمل، (ص٣٥)، وروي مرفوعًا ولا يصح.
قال الحافظ الألمعي ابن رجب الحنبلي: "والرعاية هي: القيام بحقوق الرواية من العمل والتعليم، فهي ثمرة الدراية". مجموع رسائل ابن رجب، "مقدمة تشتمل على أن جميع الرسل كان دينهم الإسلام"، (٥٦٩/٢-٥٧٠)، و(٣٦٥/٤) ط: أولاد الشيخ..

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

على رسول الله ﷺ، ولا من صاحب هوى يدعو إلى هواه، ولا من شيخ له فضل وعبادة إذا كان لا يعرف ما يحدث به»[٢١٠].

❸ -**الثالث**: قال ابن الوزير اليماني: «ولو أفتيا بغير علم وتأهلا لذلك، وليسا له بأهل، لكان جرحا في عدالتهما، وقدحًا في ديانتهما، ووصمًا في عقلهما ومروءتهما؛ لأنَّ تعاطي الإنسان لما لا يحسنه، ودعواه لما لا يعلمه من عادات السفهاء، ومن لا حياء له، ولا مروءة من أهل الخسة والدناءة»[٢١١].

---

[٢١٠] -هكذا في شرح السنة، (٣١٨/١)، وفي "شرح علل الترمذي"، (٣٤٨/١)" وروى إبراهيم بن المنذر، حدثني معن بن عيسى قال: كان مالك يقول : (لا تأخذ العلم من أربعة ، وخذ ممن سوى ذلك: لا تأخذ من سفيه معلن بالسفه، وإن كان أروى الناس، ولا تأخذ من كذاب يكذب في أحاديث الناس، وإن كان لا يتهم أن يكذب على رسول الله ﷺ، ولا من صاحب هوى يدعو الناس إل هواه، ولا من شيخ له فضل وعبادة إذا كان لا يعرف ما يحدث به) وانظر: في "الكفاية"، (ص١١٦)، و "سير أعلام النبلاء"، (٦٧/٨).

[٢١١] -العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، (٨٢/٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المتفيهق[٢١٢].

وهذا وصف نبوي صادق، وواقع مصدق، تظهر أمارته في زماننا بوضوحٍ لا غبش فيه.

ومن صور ذلك: المبالغة في الكلام، والتقعر في الحديث، والتشدق في انتقاء الألفاظ الجزلة، والعبارات الصعبة، وهذا كله خلاف للهدي النبوي، ولم يعلم أنَّ من أسباب قبول الكلام صدق قائله لا مجرد التنمق الزائد، والبهرج المزيف، كما قال سوار: «كلام القلب يقرع القلب، وكلام اللسان يمر على القلب صفحًا».

وقال زياد بن أبي سفيان: «إذا خرج الكلام من القلب وقع في القلب، وإذا خرج من اللسان لم يجاوز الآذان»[٢١٣].

ومنها: الفتوى المبتورة، والتصدر المائق بين الناس، وعلى الخصوص في المحافل وأماكن التجمع، يتصدر المشهد، ويقطع الحديث على غيره إذا رأه متكلم، وهذا من سوء الأدب، وقلة العلم، فإنَّ الفتوى لها مقام عظيم، والمفتي موقع عن رب العالمين، ومنه تعلم

---

[٢١٢] -قال ابن الأثير في "النهاية" (٣/٩٥٠): (المتفيهقون) الذين يتوسعون في الكلام ويفتحون به أفواههم مأخوذ من الفهق وهو الامتلاء والاتساع".

[٢١٣] -أوردهما ابن عبد البر في "جامع بيان العلم وفضله"، (١٢٥٥) (١٢٥٦)، (١/٧٠٠).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سبب تسمية الإمام ابن القيم كتابه، بـ "إعلام الموقعين عن رب العالمين"(٢١٤).

---

٢١٤ –وفي خصوص هذا، اذكر لك.

❶ –جاء في "ترتيب المدارك" للقاضي عياض، (١٩٦/٤). "وأتى رجل الى سحنون يسأله عن مسألة ومعه عبد الرحيم، فسبقه عبد الرحيم بالجواب! فسكت سحنون، فلمَّا ذهب السائل، وقام عبد الرحيم، قال: تجد الرجل يصبر إلى الصيام والصلاة، ويتورع فإذا جاءت الفتيا، لم يصبر".

❷ –وفي "السير" للذهبي، (٨٥/٢٠–٨٦). " وقد سئل أبو القاسم التيمي –رحمه الله–: هل يجوز أن يقال: لله حد، أو لا؟ وهل جرى هذا الخلاف في السلف؟

فأجاب: هذه مسألة أستعفي من الجواب عنها؛ لغموضها، وقلة وقوفي على غرض السائل منها".

❸ –وقال ابن الجوزي في "تلبيس إبليس"، ذكر تلبيس إبليس على الزهاد والعباد، (ص١٦٣)، ط: دار الحديث: "وقد يسمع الزاهد القليل العلم، أشياء من العوام فيفتي به، حدثني أبو حكيم إبراهيم بن دينار الفقيه أنَّ رجلاً استفتاه، فقال: ما تقول في امرأة طلقت ثلاثا فولدت ذكرًا هل تحل لزوجها؟

قال: فقلت لا، وكان عندي الشريف الدحالي –وكان مشهورًا بالزهد عظيم القدر بين العوام– فقال: لي بل تحل!!

فقلت: ما قال بهذا أحد؟

فقال: والله لقد أفتيت بهذا من ههنا إلى البصرة.

قال ابن الجوزي معلقًا: "فانظر ما يصنع الجهل بأهله، ويضاف إليه حفظ الجاه خوفًا أن يرى الزاهد بعين الجهل، وقد كان السلف ينكرون على الزاهد مع معرفته بكثير من العلم أن يفتي؛ لأنَّه لم يجمع شروط الفتوى فكيف لو رأوا تخبيط المتزهدين اليوم في الفتوى بالواقعات".

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأمَّا التصدر فهذا على خلاف ما كان عليه السلف، كما روى وكيع في "الزهد" بسندهِ، عن الحسن، قال: «لقد أدركت أقوامًا، إن كان الرجل منهم ليجلس مع القوم فيرون أنَّه عيي، وما به من عي، إنَّه لفقيه مسلم»[٢١٥].

وعن إبراهيم قال: «إنَّ كانوا ليكرهون إذا اجتمعوا أن يخرج الرجل أحسن حديثه، أو أحسن ما عنده»[٢١٦].

وروى المعافي في "الزهد"، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن ضمضم بن زرعة، عن شريح، عن شداد بن أوس، قال: «ممَّا أخاف عليكم

وانظر: ما يسر الله لي كتابته وهو كتاب "القواعد المختصرة في أدب الفتوى وضوابطها"، ويقع في (٣٠٠ صفحة وزيادة)، يسر الله تنسيقه وطبعه ورفعه، وبخصوص هذا الكتاب كتب مرةً مقالًا، ونشر في أحد المواقع الإلكترونية، ونسب لهم دون أن يبينوا من كتبه؛ ولا سيَّما وما فيه من مادة أو كلامٍ هو مما خطته يدي، ونطقه لساني، وعقدت عليه قلبي –بفضل ربي لا فضلي–، ولست بمنكر وأحتسب أجر ذلك؛ لكن ضاعت الأمانة، والله المستعان.

[٢١٥] –الزهد، (ص٣٠٧).

[٢١٦] –الزهد لابن المبارك، (٢/٥٩)، ت: عامر صبري، وانظر: المصنف لابن أبي شيبة، (٩/١١)، والخطيب في "الجامع لأخلاق الراوي"، (٢/١٠٠) وقال: "عنى إبراهيم بالأحسن الغريب لأن الغريب غير المألوف يستحسن أكثر من المشهور المعروف وأصحاب الحديث يعبرون عن المناكير بهذه العبارة ولهذا قال شعبة بن الحجاج"

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شهوة خفية، ونعمة ملهية، وذلك حين تشبعون من العمل، وتجوعون من العلم»[٢١٧].

وأمَّا قطع الكلام، فهذا يعرفه أقل النَّاسِ شأناً فضلًا عمَّن لديه شيء من العلم.

☜ وهذه الصفة جاء في الحديث النبوي نعت لها، كما في مسند أحمد بسنده، عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بشراركم؟ " فقال: " هم الثرثارون المتشدقون، ألا أنبئكم بخياركم؟ أحاسنكم أخلاقًا»[٢١٨].

وفي رواية من حديث أبي ثعلبة ﷺ، مرفوعًا «الثرثارون، المتفيهقون المتشدقون»[٢١٩].

---

٢١٧ –الزهد، رقم (٢٠٠).

وإسماعيل بن عياش، قال عنه أحمد بن حنبل: ليس أحد أروى لحديث الشاميين من إسماعيل بن عياش، (١٧١/٣).

وضمم بن زرعة الحضرمي الحمصي وثقه ابن معين، وضعفه أبو حاتم.

وشريح بن عبيد أبو الصلت الحمصي، وثقه النسائي والعجلي، وذكره ابن حبان في الثقات، انظر: في التهذيب، (٢٧٢٦).

٢١٨ –المسند، (٨٨٢٢)، وسنده ضعيف، وهو حسن بشواهده، والبخاري في "الأدب المفرد"، من رواية أبي هريرة ﷺ وبزيادة لفظ: " المتفيهقون".

٢١٩ –مسند أحمد، (١٧٧٣٢)، وصححه ابن حبان، (٤٨٢)، إلا أنَّ مكحولًا لم يسمع من أبي ثعلبة، ورواه الترمذي في "السنن"، من حديث جابر ﷺ. (٢٠١٨)، ت: شاكر.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال الإمام الترمذي عقب إيراده الحديث: "والثرثار: هو الكثير الكلام، والمتشدق الذي يتطاول على الناس في الكلام ويبذو عليهم"[٢٢٠].

وقال المنذري: "**والمتشدق**: هو المتكلم بملء شدقه تفاصحًا وتعظيمًا لكلامه.

والمتفيهق: أصله من الفهق، وهو الامتلاء وهو بمعنى المتشدق؛ لأنه الذي يملأ فمه بالكلام، ويتوسع فيه إظهارًا لفصاحته وفضله، واستعلاءً على غيره"[٢٢١] والله أعلم.

[٢٢٠] –السنن، (٤/٣٧٠).

[٢٢١] –الترغيب والترهيب، (٣/٢٧٧).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

-ختامًا: إلى هذا المتعالم، حق أن يقال فيك "لَيْسَ هذا بِعُشِّكِ فَادْرجي". وهو مثال شائع فيمن يدعي ما ليس يحسنه ويرفع نفسه على الناس.

قال أبو عبيد: قال الأصمعي وغيره في هذا المثل: (لَيْسَ هذا بِعُشِّكِ فَادْرجي) أي: ليس هذا من الأمر الذي لكَ فيه حق فدعه.

وقد يضرب مثلاً للرجل ينزل المنزل لا يصلح له،قال ابن قتيبة: يُضرب مثلاً للرجل المطمئن المقيم وقد أظلّه أمر عظيم يحتاج إلى مباشرته والخفوف فيه

-وقال النويري: "يضرب لمن يرفع نفسه فوق قدره"[٢٢٢].

-وقيل: "يضْرب لمن يَدعِي أمراً لَيْسَ من شَأْنه"[٢٢٣].

---

[٢٢٢] -نهاية الأرب في فنون الأدب، (٣/٤٩).

[٢٢٣] -المستقصى في أمثال العرب، (٢/ ٣٠٥)

((يقول الفقير لعفو ربه: هذه مجموع بسيط وفقني الله تعالى لجمعه، وأسأل الله أن يتقبله ويجعله أجرًا وذخرًا لي عنده يوم لا ينفع مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وأن يعينني لجمع نظيره في أصل الكتاب، «التعالم أسبابه ومظاهره وعلاجه» إنَّه ولي ذلك والقادر عليه، والحمد لله أولًا وأخراً)).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفهرس

الصفحة	الرقم
وقفة.	٣
المقدمة.	٤
معالم مهمة في التحذير من التعالم والتعريف به.	٥
تحذير السلف من التعالم.	٨
بيان أن العالم صاحب الخشية، وذكر صور في ذلك.	١٦
خطر التصدر.	٢١
هضم السلف لأنفسهم وميلهم للتواضع والخمول.	٢٧
خطر دعوة التفنن في العلوم.	٤١
أسماء أهل التعالم وألقابهم.	٤٩
١-أبا شبر.	٥٠
٢-تطير قبل أن يتريش.	٥١
٣-البغاث يستنسر.	٥١
٤-الصعاقفة.	٥٣
٥-حاطب ليل.	٥٥
٦-حلم اليقظة.	٥٩
٧-الأصاغر.	٦١

٨-زوامل.	٦٤
٩-لئيم.	٦٧
١٠-الطفيلي.	٦٩
١١-الصحفي.	٧٢
١٢-الرويبضة.	٧٨
١٣-المجذوب.	٨٠
١٤-تحصرم قبل أن يتزبزب.	٨٢
١٥-الغنادرة.	٨٦
١٦-لست بشيء ولا تحسن شيئًا.	٨٦
١٧-المائق.	٨٨
١٨-أنوك.	٩١
١٩-البطال.	٩٤
٢٠-أحمق.	٩٦
٢١-المتشبع بما لم يعطى.	٩٨
٢٣-السارق.	١٠٠
٢٤-التنمر بالعلم.	١٠٤
٢٥-سفهاء الأحلام.	١٠٦
٢٦-المكذلكة.	١٠٨
٢٧-السفيه.	١١٠

﴿ مفكرة الفوائد ﴾

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

أسماء أهل التعالم وألقابهم.

أسماء أهل التعالم وألقابهم.